إسهَامَاتُ آل ثابتِ بن قُرَّة الطِّبيَّةِ خِلالَ ثَلاثَةِ أَجيَالٍ: دِراسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ مِن خِلَالِ مُؤَلَّفَاتٍ غَيرِ مَنشُورةٍ (*)

المقدِّمة:

لا تخلو حضارةٌ من الحضارات من حكماءٍ وأطبَّاءٍ يبسطون سلطانهم الفلسفيَّ والعلميَّ على نفوس النَّاس وأجسادهم. والحضاراتُ حينما ترتقي وتُذلِّل فيها سبل المعرفة، لا يكتفي المشتغلون بالعلم فيها بفنٍّ واحدٍ، بل يجمعون إليه أصنافًا من المعارف والفنون، وهذا هو حالُ المدائن العربيَّة (دمشق، بغداد، القاهرة) في أوجِ عطائها الحضاري.

كان عهدُ العرب الأوَّل بالطِّب مختلطًا بالكهانة، كحالِ **أبي بُردة الأسلمي**، كاهن وطبيب يثرب(١)، **والنَّضر بن الحارث**(٢)، وهذه الحال وإن كانت عامَّة، إلَّا أنَّها لم تمنع من نبوغ أطبَّاءٍ عرب تلقَّوا العلوم الطبيَّة في حواضر الأمم المجاورة كمدرسة جنديسابور، وأشهرهم **الحارث بن كَلَدَة الثَّقفي**(٣) دون توطينٍ للصَّنعة؛ لعدم وجود رعاةٍ لها، فالعرب قبل الإسلام كانوا قبائل شتَّى(٤).

(*) ورقة علميَّة مقدَّمة للمؤتمر الدُّولي المشترك حول: **صورة الآخر في التُّراث العربي: قراءة استكشافيَّة**، في الفترة (٣-٤ أبريل ٢٠٢٥م).

(١) الطبري، **تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ٥١٠/٨. وقيل إنَّ الممرضة "**رفيدة الأسلمية**" ابنته، وكانت تداوي جرحى الصحابة. انظر: ابن الأمين، **الاستدراك على الاستيعاب**، ٣٥٠/٢.

(٢) كان **النَّضر** مطلعًا على علوم القدماء، وحفظت المدونات الطبية وصفة علاجية له من المواد المسهِّلة لعلاج أمراض الصفراء والسوداء، بقيت منسوبة له حتى منتصف القرن الخامس الهجري، ذكرها **ابن سينا** في "**القانون**" في بيان "**حبِّ ابن الحارث**". انظر: لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ٤٠/١. و ابن سينا، **القانون في الطب**، ٥٠١/٣.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٤٣٨/١٣.

(٤) لا يزال أمر الطب عند العرب قبل الإسلام غامضًا، ومن ذكرت لنا نُتف من تراجمهم فبفضل إدراكهم للإسلام وورودهم في المدونات العربية. للاستزادة، انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ١٥/١٦–٢٠.

ومع الفتوحات العربيَّة الإسلاميَّة للحضارات المجاورة (الفارسيَّة، والبيزنطيَّة)، وتحوُّل الخلافة إلى مُلكٍ عضوض، توطَّدت -مع الزمن- تقاليد الحكم، فكان لكلِّ ملكٍ أموي طبيبٌ يرافقه، **ووجد الملوك الأمويون في الأطبَّاء غير العرب وغير المسلمين الوفرة عددًا، والنُّبوغ كيفًّا، والصَّنعة توارثًا، والتَّرجمة نقلًا، والعلم تصنيفًا**، فأقبل الأطبَّاء على بلاط **بني أميَّة**. وكان من أشهرهم من المسيحيِّين: **ابن أُثال**(٥)، و**أبو حكم الدِّمشقي وابنه حكم**(٦)، وفاق الجميع تمرُّسًا وحكمةً **تَياذوق**، وكتابه "**الكُنَّاش**" أوَّل كتابٍ طبِّي يؤلَّف في العصر الأموي(٧) أفاد منه **أبو بكر الرَّازي** كثيرًا(٨)، وأقواله في الحكمة مشهورة مبثوثة(٩)، وترك خلفه أطبَّاء مبرَّزين أنبغهم **فرات بن شحناثا اليهودي**(١٠).

وفي العصر الأموي كذلك، **تُرجمت أوائل كتب الطِّب** للعربيَّة بأمر **خالد بن يزيد** [ت٩٠هـ] دون معرفة عناوينها(١١). وترجم **ماسرجويه السرياني** على ما قيل(١٢) **لعمر بن عبدالعزيز** [ت١٠١هـ] كتاب "**الكُنَّاش" لأهرن بن أعين البصري**(١٣) وهو أوَّل كتاب طبي يُترجم في الحضارة العربية(١٤).

مهَّدت الرِّعاية "الوظيفيَّة" من الملوك للأطبَّاء في العصر الأموي، الطَّريقَ **لتوطين المعارف والعلوم الطبيَّة في قلب الحضارة العربيَّة النَّابض (مدينة بغداد)** في العصر العبَّاسي؛ لتكون

---

(٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٥١/٣.

(٦) القِفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ١٣٧/١، ٢٩٧.

(٧) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ١٧٩/١-١٨١.

(٨) الرازي، **الحاوي في الطب**، ٧٣/٣، ٣٣٣ وغيرها. و خالد حربي، **تياذوق برواية الرازي**، ص٢١ وما بعدها.

(٩) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ٢٩٢/٣.

(١٠) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٩٤/١-١٩٥، ٢٣٨.

(١١) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢٦٧/١. و ابن خَلِّكان، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، ٢٢٤/٢ [٨مج، تح: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٢)]. و فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي - الكيمياء والنبات**، ١٦٢/١.

(١٢) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٢٤٢/١-٢٤٣.

(١٣) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ٣٨٤/٩. و خالد حربي، **ماسرجويه البصري برواية الرازي**، ص١٥ وما بعدها.

(١٤) يدور جدل حول الترجمات الطبية في العصر الأموي. للاستزادة، انظر: لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ١٠٩/١-١١٦.

أهمَّ مدينة تعجُّ بالأطبَّاء في **عصر الإسلام الذهبي**، أو "**مدينة الألف طبيب**" وِفق إحصاء **سِنان بن ثابت** عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م[١٥]. *"لقد قدم العرب في القرن التاسع الميلادي [١٨٥-٢٨٧ هـ] مشهدًا عجيبًا لم يتكرر إلا مرة واحدة .. إذ لم ينسلخ هذا القرن إلا وقد* ***امتلك العرب جميع علوم اليونان*** *.. ولولا جهود العرب لضاعت أعمالهم وأخفتها ظلمة الليالي والأيام، كما أظهروا من ذلك الحين قدرةً لم تكن عند معلميهم* ***بل تجاوزوها*** *"*[١٦].

كانت أُسرتا **آل بختيشوع** السريانيَّة **وآل قرَّة** الحرَّانيَّة **أشهر أسرتين علميَّتين في بغداد** نبغ فيهما الأطبَّاء خلال عدة أجيالٍ حتى انقطاع أخبارهم نهاية القرن السَّادس الهجري، **الأولى أكثر عراقة واتصالًا بصنعة الطِّب**[١٧]، **والثَّانية أكثر تصنيفًا وترجمة**، وكلتاهما عملتا في تطبيب البلاط العبَّاسي[١٨].

كان **ثابت بن قرَّة** المؤسِّس العلمي لأسرته، قدِم إلى بغداد وصاحَب **المعتضد بالله** [ت٢٨٩هـ]، ورغم أنَّه لم يكن من سُلالة علميَّة إلَّا أنَّه *"لم يكن في زمنه* ***من يُماثله في صناعة الطِّب*** *ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة"*[١٩]. شارك **ثابت** في حركة التَّرجمة، فترجم ما انصرف عن ترجمته للعربية **حُنين بن إسحاق وابنه إسحاق** من كتب الطِّب اليوناني، كـ"**كتاب الكيموس**"[٢٠]، و "**كتاب ما يعتقده رأيًا" لجالينوس**[٢١].

---

(١٥) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠٢/١.

(١٦) لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ١٢٩/١-١٣٠.

(١٧) خالد حربي، **آل بختيشوع برواية الرازي**، ص١٧ وما بعدها. و لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ١٣٣/١-١٤٤.

(١٨) خالد حربي، **الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية**، ص٢٧-٥٢. و عادل زيتون، **آل بختيشوع النساطرة في البلاط العباسي**، ١٣٥-١٤٥. [مجلة عالم الفكر، يونيو ٢٠٠١، مج٢٩، ع٤].

(١٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٥/١.

(٢٠) **الكيموس**: خلاصة المادة السائلة بعد الهضم، وهي لفظة يونانية. و"**كتاب الكيموس**" من وضع **جالينوس** وتُرجم للعربية ثلاث مرات. و**لجالينوس** كتاب مختلف عنه بعنوان "**كتاب الكيموسين**" من نقل **إبراهيم بن الصلت**. وقد أكثر **الرازي** من النقل عنهما، وهما اليوم في عداد المفقود. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٨٢/١. و النديم، **الفِهرست**، ٣٥٢/١. و الرازي، **الحاوي**، ٢٧/٦، ٣٦١ وغيرها.

(٢١) من أشهر كتب **جالينوس** في المصادر العربية، وهو "**مقالة واحدة يصف فيها ما علم وما لم يعلم**" في الطب والفلسفة. ولأهمية هذا الكتاب فقد تُرجم للسريانية مرتين وللعربية مرتين؛ إحداهما **لثابت بن قرَّة** بطلب من **محمد بن موسى بن شاكر**. انظر: القِفطي، **إخبار**

أمَّا مؤلَّفاته الطبيَّة ففاقت خمسين مصنَّفًا[٢٢]، أشهرها كتاب "**الذَّخيرة في علم الطِّب**" وكتاب "**البصر والبصيرة في علم العين وعِللها ومداواتها**"[٢٣].

جاءت مؤلَّفات **ثابت بن قرَّة** الطبيَّة على عدَّة طرائق؛ تأسيسيَّة، وتعليميَّة، وابتكاريَّة. وكان من أوائل المصنِّفين لكتب "**الجوامع**" الطبية في الحضارة العربيَّة على طريقة جوامع الإسكندرانيين لكتب **جالينوس** الطبيَّة[٢٤] الَّتي ترجمها **حُنين بن إسحاق** و**حُبيش بن أعسم** كاملة[٢٥]، فصنَّف **ثابت بن قرَّة** أكثر من ثلاثة عشر مصنَّفًا في جوامع كتب **جالينوس** الطبيَّة، وصل إلينا منها ثمانية مصنَّفات لم يسبق نشرها حتَّى اليوم.

نستعرض في هذه الدِّراسة العلميَّة عبر مبحثين، جهود آل ثابت بن قرَّة الطبيَّة خلال ثلاثة أجيال وذلك في المبحث الأول، ثم نتناول بالدِّراسة -في المبحث الثاني- مؤلَّفات طبيَّة غير منشورة لهم. ونختم بأهم النتائج والتوصيات.

العلماء، ١٠٥/١. و ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٤٦/١. و الرازي، **الحاوي**، ٤٢/١. و الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، ٨٨/١. و حُنين بن إسحاق، **رسالة حنين بن اسحق إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس**، ص٣٦-٣٧ الطبعة الألمانية.

(٢٢) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١-٩٧.

(٢٣) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٩/١.

(٢٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٥١/١-١٥٣. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ٦٠/١.

(٢٥) حُنين بن إسحاق، **رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس**، ص١٨. و علي رضا بلوط، **معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**، ص٧٥٧-٧٥٨، ١٠٥٠.

المبحث الأول: جهود آل ثابت بن قرة الطبية خلال ثلاثة أجيال.

في مطلع القرن الثالث الهجري أصبحت مدينة بغداد **حاضنة لطلائع الأطباء** والمهندسين والعلماء الذين وفدوا أو أُوفدوا إليها بطلب من الحكام العباسيين. حرص **أبو جعفر المنصور** منذ تأسيسه مدينة بغداد عام ١٤٥هـ على إحاطة نفسه **بأهل العلوم المغايرة للمعارف العربية الشائعة**، فأحاط نفسه **بأهل الطب والتنجيم والهندسة**، وترجم بواسطتهم عن اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية، عيون الآداب والفلسفات العالمية كبعض "**منطقيات**" **أرسطو**، وكذا كتاب "**كليلة ودمنة**" في الأدب، و"**كتاب السند هند**" في التنجيم[٢٦].

ومع وصول **الرشيد** لسدَّة الحكم عام ١٧٠هـ، زادت وتيرة الجذب والاستقطاب لبغداد، فنشأت في عهده "**بيت الحكمة**" وتُرجمت الأصول العلمية للمعارف كـ"**كتاب الأصول**" في الهندسة **لإقليدس**، و "**كتاب المجسطي**" في الفلك **لبطليموس**، ورعى الوزراء والمعارفَ في تحول يشيء بالتنافسية الاجتماعية لرعاية العلماء والمترجمين الدنيويين[٢٧].

ما سبق كان مجرَّد البداية المؤسِّسة للمرحلة الذهبية من تاريخ المعارف العلمية في الإسلام، فخلال عقدين من الزمان (١٩٨-٢١٨هـ) ستجري في بغداد واحدة من **أعظم حركات الترجمة في التاريخ**، إن لم تكن أعظمها في العصور القديمة والوسيطة، إذ سيكون شغل الحاكم العباسي **المأمون** الشاغل ترجمة المعارف اليونانية دون قيود، ويسير على طريقه كمٌّ غفير من الوزراء والموسرين، ويتهادى لبيوت البغداديين **أرسطوطاليس** و**أفلاطون** و**جالينوس** و**إقليدس** و**بطليموس** وغيرهم من الفلاسفة، وينتقي **المأمون** لهذه المهمة أمهر المترجمين؛ فتُرجمت له عشرات الكتب في زمن يسير. ولا يكتفي بذلك، بل يحض الناس على قراءتها ويرغبهم في تعلمها،

---

(٢٦) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٨٣/١. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٠٧/١، ١٧٠، ٣٢٠. و المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢٢٣/٤، ٤١٣. ٤مج (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٨).

(٢٧) النديم، **الفِهرست**، ١٣٥/١، ٣٠٢، ٣٢٧. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ٧٩/١.

فراج سوق العلم في زمانه، "***وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم لما*** *كانوا يرون من إحظائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم .. فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيرًا من أجزاء الفلسفة، وسنُّوا لمن* ***بعدهم منهاج الطب***، *ومهدوا أصول الأدب، حتى* ***كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية*** *أيام اكتمالها، وزمان اجتماع شملها* "(٢٨).

وكان من جملة من أغرتهم المعارف العلمية للقدوم إلى بغداد **ثابت بن قرَّة الحرَّاني** الذي سيوصِد باب العودة إلى دياره ومنابته الأولى، وتستقر أسرته وبنوهم من بعدهم في بغداد حتى سقوطها عام ٦٥٦هـ، وهم مشتغلون بالتَّرجمة والتَّأليف والتَّطبيب في أغلب حقبها(٢٩)، لتكون أسرتهم من أعرق الأسر العلمية في الحضارة العربية التي خدمت المعارف الطبية ترجمةً وتأليفًا وتطبيبًا وإدارةً لمرافقها خلال ثلاثة أجيال.

وفيما يلي بيان سِيَرهم، ومآثرهم العلمية والعملية:

١/ ثابت بن قرَّة الحرَّاني.

مؤسس مجد أسرة **آل ثابت بن قرَّة** العلمي، وأشهر رجالاتها، كان إليه المنتهى في علوم الفلك والهندسة والرياضيات في زمانه، ودونها في الطب وباقي العلوم. ينتمي **للطبقة الأولى** من أفذاذ النقلة الأوائل، **فهو أحد ثلاثة يُعزى إليهم الفضل في نقل وإصلاح نحو كثير من المترجمات إلى العربية في القرن الثالث الهجري** من السريانية واليونانية.

لا يمكن تدوين تاريخ المعارف العلمية العربية في العصر الذهبي للإسلام، ولا تاريخ العلوم الفلكية والرياضية العالمي دون الإشارة إلى دوره الفاعل ترجمةً وتأليفًا ورصدًا وابتكارًا، فهو في

---

(٢٨) صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، ص٧٥-٧٦. (القاهرة: المكتبة المحمودية، د.ت).

(٢٩) ابن خَلِّكان، **وفيات الأعيان**، ٣١٣/١-٣١٤.

الترجمة "***أعظم المترجمين وأعظم من عُرف في مدرسة حرَّان في العالم العربي***"(٣٠)، و "***أعظم هندسي عربي على الإطلاق***"(٣١)، و "***لم يصل أحد من العرب إلى ما وصل إليه في علوم الرياضيات والفلك***"(٣٢)، ما جعله بحق "***أعظم علماء الهندسة المسلمين***"(٣٣)، بل "***أشهر ممثلي تراث الثقافة القديمة في القرون الوسطى***"(٣٤).

ولد **ثابت بن قرَّة** في مدينة حرَّان(٣٥) من أصول يونانية(٣٦)، على خلافٍ في تقدير سنة ميلاده بين عام ٢٢١هـ/٨٢٦م على قول جمهور المدونين لسيرته، وأقدمهم **النديم** [ت٣٨٤هـ] (٣٧)، وبين رأيٍ يرى ولادته قبل ذلك بعشرة أعوام (٢١١هـ/٨١٦م)(٣٨).

لا تكشف المصادر عن أساتذته وطلبه للعلم في حرَّان، وتكتفي بالإشارة إلى عمله في مجال "الصرافة"، واشتغاله بالعلم بعد قدومه إلى بغداد وهو في نحو السادسة والثلاثين من عمره. **ونرى أن هذه الروايات والآراء ناقصة وتعوزها الدقة**، إذ كيف تسنَّى له الوصول إلى بلاط **المعتمد على الله** (٢٥٦-٢٧٩هـ) بعد سنواتٍ يسيرة من وصوله إلى بغداد وطلبه للعلم فيها، في مناخ

---

(٣٠) قدري طوقان، **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، ص١٩٦-١٩٧. [ط٣ (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٣)].

(٣١) عدة مؤلفين، **تراث الإسلام (الفلك والرياضيات) البارون كارا دي فو**، ص٥٧٧. [تح: جرجس فتح الله، ط٢ (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٢)].

(٣٢) لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ٢٢٩/١.

(٣٣) ول ديورنت، **قصة الحضارة**، مج٤، ١٨١/٢.

(٣٤) عدة مؤلفين، **تراث الإسلام (الفلك والرياضيات) البارون كارا دي فو**، ص٥٧٨. وللاستزادة، انظر: على حسين الشطاط، **الطبيب والمترجم والناقل ثابت بن قرَّة الحراني**، ص٧٨، ١٦٨. [(بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٠)].

(٣٥) تشير اللقى الأثرية إلى معنى "حرانو" أي الطريق؛ لأنها كانت على الطريق الملكي القديم، طريق الحرير. وقد وصف الهمداني أهلها بقوله: "*أصحاب أدب وحكمة، وعلم بالنجوم، وخبرة في العلوم التعليمية، وأصحاب قياس للكواكب، ولهم ذكاء وفطنة*". ونلحظ غياب الإشارة لهم بصنعة الطِّب. انظر: محمد الحمد، **صابئة حرَّان وإخوان الصفا**، ص٧. [(دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨)].

(٣٦) يظهر ذلك جليًا من اسم جده الأكبر **مارينوس بن سلامويوس**، ومن توطين الإسكندر المقدوني لجالية يونانية فيها عام ٣٣٦ ق.م. انظر: محمد الحمد، **صابئة حرَّان**، ص٨.

(٣٧) النديم، **الفِهرست**، ٣٣٣/١. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١.

(٣٨) يرى **ابن أبي أصيبعة** أن ميلاد **ثابت** كان عام ٢١١هـ، مستندًا إلى قول **النديم** أنه توفِّي وله "سبع وسبعون سنة شمسية"، وهو ما لا يتوافق مع القول بولادته عام ٢٢١هـ. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٧/١.

يكتظُّ بالعلماء والمترجمين؟ وكيف يدفعه **المعتمد** إلى ابنه **المعتضد بالله** مؤدِّبًا له دون اشتهاره في دوائر العلماء بالترجمة والتأليف؟(٣٩).

ويظهر أنَّ **ثابت بن قرَّة** اشتغل بطلب المعارف الدينية والعلمية في **مدينة حرَّان** وبلغ فيها مرتبة عليا، جعلته يستقل بآرائه العلمية عن المؤسسة الدينية التقليدية، إذ "*أنكروا عليه في المذهب .. ومنعه رئيسهم من دخول الهيكل، فتاب ورجع عن ذلك،* ***ثم عاد بعد مدة إلى تلك المقالة***، *فمنعوه من الدخول إلى المجمع، فخرج من حرَّان*"(٤٠).

ومن الممكن أن نخوض في المسكوت عنه، **ونفترض وجود خلافات تعود لآراء ثابت بن قرَّة الفلكية المتحررة**(٤١) والتي تعارض رأي المؤسسة الدينية التي تستند في طقوسها للأفلاك والكواكب، ويعضد ترجيحنا أن **ثابتًا** اشتُهر أول أمره في بغداد بعلميْ الفلك والرياضيات، فعُرف كمنجِّم في البلاط العباسي(٤٢)، وأسند إليه **حنين بن إسحاق** ترجمة وإصلاح الكتب الرياضية والهندسية والفلكية(٤٣)، وكأنه تسلَّل عبرهما إلى مصافِّ العلماء والأعيان في بغداد.

بعد خروجه من حرَّان أقام مدةً من الزمن في كَفرتُوثا (بلدة في فلسطين) (٤٤)، ثم انتقل إلى بغداد في ضيافة **محمد بن موسى بن شاكر** [ت٢٥٩هـ] (٤٥)، المهندس الشهير صاحب كتاب "**الحيل**"، ويبدو أن كل واحدٍ منهما وجد ضالته في الآخر، **فمحمد بن موسى** وجد في **ثابت بن قرَّة**

---

(٣٩) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١. و ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٥/١.

(٤٠) ابن خَلِّكان، **وفيات الأعيان**، ٣١٣/١-٣١٤.

(٤١) يرى المستشرق الألماني **روسكا** أن الخلاف كان بسبب آراء **ثابت** الفلسفية، **وروسكا** هو محرر مقالة **ثابت بن قرَّة** في دائرة المعارف الإسلامية. وللوقوف على آراء أخرى، أنظر: أحمد العدوي، **الصابئة**، ص١٦٢-١٦٣. و مجموعة مؤلفين، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ٢٥٦٣/٨.

(٤٢) تشير كافة المصادر إلى ذلك، وأقدمها **النديم** في الفِهرست، ٣٣٣/١.

(٤٣) المرجع السابق، ٣٢٧/١، ٣٣٠، ٣٣٣.

(٤٤) ابن خَلِّكان، **وفيات الأعيان**، ٣١٣/١.

(٤٥) كفانا د.**أحمد العدوي** مؤونة دحض الزعم بأن **محمد بن موسى** ألحق **ثابت بن قرَّة** في ركبه وهو عائدٌ من بلاد الروم. ونحن بدورنا نشير إلى عدم قناعة القِفطي بها، وذلك بإيراده قولًا "أنه قدم على محمد بن موسى" في بغداد أي دون أن يصطحبه في عودته إليها. انظر: القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١. و أحمد العدوي، **الصابئة**، ص١٦٤-١٦٥.

العالِم الفلكي والرياضي الذي يُثري مجلسه بالحوار والمناقشة، كما وجد فيه الترجمان للمعارف اليونانية، أمَّا **ثابت** فوجد في مجلسه العلماء والمترجمين فاتصل بهم، ووصل من خلاله لبلاط **المعتمد على الله** لِما كان لأبناء **موسى بن شاكر** من مكانة وجاه عند الحكام العباسيين.

بوصول **ثابت بن قرَّة** للبلاط العباسي، سيتفرغ فيما بقي من حياته (ثلاثة عقود) للتَّأليف والتَّرجمة والرَّصد الفلكي والتطبيب والتجارب العلمية في ظل الرعاية الملكية والهِبات غير المنقطعة في عصريْ **المعتمد على الله** وابنه **المعتضد بالله**[٤٦].

لا يبدو لنا أن ثابتًا دخل بغداد طبيبًا مبرَّزًا، وإنما تعمَّق في صنعة الطِّب عبر القراءة والترجمة؛ لضمان بقائه في البلاط العباسي، وحفظًا لمكانته الاجتماعية لدى الأعيان. وترجَّح لنا هذا النظر؛ لما يلي:

١. عدم وصف المصادر التاريخية له بـ"**الطبيب**" عند قدومه إلى بغداد نحو عام ٢٥٧م، وبروزه كـ"**منجِّم**" في البلاط العباسي، و"**رياضي**" بعد ترجمته وإصلاحه المؤلفات الرياضية والفلكية اليونانية.
٢. عدم اشتهار **حرَّان** بالمعارف الطبية بخلاف شهرة **جنديسابور** بها، فأشهر الأُسر الطبية في بغداد انحدرت منها **كآل ماسويه وآل بختيشوع**[٤٧].
٣. التنافس الشديد بين العلماء في البلاط العباسي للإحاطة بعلوم الطب والتنجيم[٤٨]، وهذا ما يفسر وجود كتاب لطبيب **المعتمد**، **يوحنا بن بختيشوع** [ت٢٩٠هـ] بعنوان

---

(٤٦) يُقال أنَّ حياة الصفو تكدَّرت قليلًا بين **ثابت** والخليفة **المعتمد على الله** لأسباب غير مذكورة، قد تتصل بابنه **المعتضد بالله**، فهرب **ثابت** من بغداد قليلًا ثم عاد بعد عفو **المعتمد**، أو لنقل بعد حاجته إليه. وينفرد **فخر الدين الرازي** بهذه الرواية في كتابه المنسوب "**السر المكتوم**" أن **ثابتًا** هرب من جنب **المعتمد** وترك ابنه **سِنان** على السرير، وأنَّ كوكبي زحل والزهرة أعاناه في كربه حتى عاد! انظر: أحمد العدوي، **الصابئة**، ص١٦٥. فخر الدين الرازي، **السر المكتوم**، ص٣-٤. مخطوط ٢٧٩٦ أيا صوفيا.

(٤٧) رحيم الشمخي، **مدرسة جينديسابور في الطب والترجمة**، ص٥٩-٩٥.

(٤٨) للوقوف أكثر على مصائد الأطباء بعضهم لبعض، انظر: مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية في العصر العباسي**، ص٦٩-٧٣. [(دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢)]

"**فيما يحتاج إليه الطبيب من علم النجوم**"[٤٩]. ونحسب أن هذا الكتاب جاء بعد استماع **يوحنا** للمنجمين في بلاط المعتمد وأحاديثهم معه على تأثير الأفلاك على جسد الإنسان[٥٠]. في مقابل ذلك، حرص **ثابت بن قرَّة** على تطوير معارفه الطبية بالترجمة والتلخيص ومن ثمَّ التأليف المبتكر.

حاصل القول أنَّ **ثابت بن قرة** أصبح طبيبًا يشار إليه بالبنان خصوصًا بعد وفاة **حُنين بن إسحاق** [ت٢٦٠هـ] وغيره من الأطباء الكبار، ووصول **المعتضد بالله** للحكم عام ٢٧٩هـ، فأصبح جليسه الملازم، "*وبلغ معه أجلَّ المراتب وأعلى المنازل، حتى كان يجلس بحضرته في كل وقت ويُحادثه طويلًا، ويُضاحكه ويُقبل عليه دون وزرائه وخاصته*"[٥١]، وصنَّف له كتبًا خاصة[٥٢]، بهذه المكانة أمكن **لثابت** توريث ابنه الطبيب **سِنان بن ثابت** ليخلف مكانه في البلاط العباسي، ويصبح "رئيس أطباء بغداد" في عهد **المقتدر بالله** (٢٩٥-٣٢٠هـ) ابن المعتضد بالله[٥٣]. وتروي كثير من المصادر نقلًا عن **أبي إسحاق الصابئ** [ت٣٨٤هـ] قصة مفادها أن **المعتضد بالله** اعتذر **لثابت بن قرَّة** لأنه يده فوق يده، معللًا اعتذاره بأن العلماء يَعلون ولا يُعلون[٥٤].

توفي **ثابت بن قرَّة** في السادس والعشرين من صفر عام ٢٨٨هـ، تاركًا وراءه نحو مئتي عمل علمي، تكشف عنها كتب التراجم وفهارس المكتبات الخطية، حازت العلوم الطبية على نحو ربعها، **وهو ما سنعرض إليه في إسهاماته الطبية.**

---

(٤٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٧٧/١.

(٥٠) وقفنا على نسخة خطية من هذا العنوان في الخزائن التركية، غير منسوبة **ليوحنا بن بختيشوع**، ونقيم جدوى نشر دراسة عنها مستقبلًا؛ لفهم كيف تم توظيف الغيبيات علم الطب، للصعود الاجتماعي، وربما للدجل على الناس.

(٥١) تفيض المصادر التاريخية بذكر العلاقة الخاصة التي جمعت **المعتضد بالله** و**ثابت بن قرَّة** وكانت محل فخر واعتزاز حفيده المؤرخ والطبيب **ثابت بن سِنان**. للاستزادة، انظر: القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١. و ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠١/١. و أحمد العدوي، **الصابئة**، ص١٦٠-١٦٦.

(٥٢) للاستزادة، انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠٠/١. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٥/١. و أحمد العدوي، **الصابئة**، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٥٣) للوقوف أكثر حول توريث المناصب الطبية، انظر: عادل زيتون، **آل بختيشوع النساطرة**، ص١٤٠-١٤١.

(٥٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٦/١. وسرعان ما نقض **المعتضد بالله** مقولته، فأمر بقتل أستاذه ونديمه الفيلسوف **أحمد بن الطيب السرخسي** عام ٢٨٦هـ بسبب إفشاءه لسر والوشاية به.

إسهامات ثابت بن قرَّة الطبية.

انصرف **ثابت بن قرَّة** للإنتاج العلمي في الطب ترجمةً وإصلاحًا وتأليفًا وتدريسًا في حِلَقه الخاصة(٥٥)، وعمل كطبيب مرافق **للمعتضد بالله**(٥٦)، وغيره من العامة عند الضرورة(٥٧). ولم تذكر المصادر التاريخية اشتغاله بالتطبيب في "**بيمارستان الرشيد**" ولا "**بيمارستان البرامكة**" نظرًا لانشغاله بما ذكرنا(٥٨).

ومن أشهر تلاميذه الأطباء: ابناه **سِنان وإبراهيم**، ومساعده في الترجمة **عيسى بن أُسيد**(٥٩)، و**يهودا بن يوسف** المعروف بأبي الثناء(٦٠)، و**أبو الحسن الحرَّاني**، و**إبراهيم بن سِنان الصابئ**(٦١). وتُظهِر هذه الدائرة الضيقة مدى انشغال غير المسلمين بالطب(٦٢).

النتاج الطبي لثابت بن قرَّة.

ترجم النقلة الأوائل في القرن الثالث الهجري في العلوم الطبية أزيد من ٣٥٠ كتابًا لأطباء اليونان والإسكندرية؛ **أبقراط** و**جالينوس** و**ديوسقوريدس** و**روفس الأفسي** وغيرهم من صحيح

---

(٥٥) للتوسع أكثر حول الحِلق العلمية الخاصة، انظر: مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٣٢-٣٤.

(٥٦) كان لدى **المعتضد بالله** عدد من الأطباء، منهم **يوحنا بن بختيشوع**، والطبيب **غالب**. ولم أقف على نصٍ متقدم يفيد بعلاج **ثابت بن قرَّة** لوالده الخليفة **المعتمد على الله**. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٧٧/١، ٣١١.

(٥٧) يذكر **ثابت بن سِنان** قصة رُويت له عن جده **ثابت بن قرَّة**، تذكر علاجه لقصَّاب ظنَّ الناس أنه توفي. وفي القصة ما يفيد أن **ثابتًا** كان متصلًا بدار الخليفة كل يوم، وأن القصَّاب كان في طريقه. انظر: القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٧/١-٩٨.

(٥٨) أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ص١١٣-١١٤. (طبعة هنداوي)

(٥٩) النديم، **الفهرست**، ٣٣٣/١. و ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٨/١. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٨٨/١.

(٦٠) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ٩٩/١. و علي الشطشاط، **الطبيب ثابت بن قرَّة**، ص٨٦-٨٧.

(٦١) أحمد العدوي، **الصابئة**، ص٢٦٧.

(٦٢) يذكر **الجاحظ** في كتابه "**البخلاء**" قصة الطبيب المسلم **أسد بن جاني**، الذي أكسد بسبب نفور الناس عنه، رغم معرفته وحاجة الناس إليه بسبب انتشار الأوبئة، فكان يقول: "*أما واحدة، فإني عندهم مسلم؛ وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبَّب، لا بل قبل أن أُخلق، إن المسلمين لا يفلحون في الطب. واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون صليبا وجبرائيل ويوحنّا وبيرا؛ وكنيتي أبو الحارث، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى، وأبو زكريا، وأبو إبراهيم .. ولفظي لفظ عربي، وكان ينبغي أن تكون لغة أهل جنديسابور*". فهذه القصة تكشف أن المسلم حتى لو اشتغل بالطب، فلا قبول له عند المجتمع؛ لثقتهم بطب غير المسلمين. انظر: الجاحظ، **البخلاء**، ص١٣٨. [ط٢ (بيروت: دار ومكتبة الهلال،١٩٩٨)].

كتبهم ومنحولها[٦٣]، أمَّا مؤلفات النقلة الطبية فتبلغ أكثر من ١٦٠ كتابًا؛ **ليوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق** وابنه **إسحاق** و**قسطا بن لوقا** و**ثابت بن قرَّة** وغيرهم[٦٤].

يُقدِّر المؤرخون كتب ثابت بن قرَّة الطبية بنحو خمسين كتابًا مترجمًا ومؤلَّفًا، "***فلم يكن في زمنه من يماثله في صناعة الطب***"[٦٥]، "***فظهر له من قوة الحدس ما كاد يُعد كرامة، ويرد به البقاء وقد كان الهلك رامه***"[٦٦]، فـ"***كان غاية في علم الطب***" [٦٧].

في مقابل ذلك، نجد أن تراجم القرنين الرابع والخامس الهجريين لا تصف **ثابت بن قرَّة بالمتطبِّب**، رغم أنها قد تذكر بعض مؤلفاته، **فالنديم** [ت٣٨٠هـ] في "**الفِهرست**" لم يصفه بالطبيب كحال ابنه وحفيده[٦٨]، **والسجستاني** [ت٣٨٠هـ] في "**صِوان الحكمة**" يُدرجه في فلاسفة الإسلام، وأنه من الأجلَّاء في علم الهندسة[٦٩]، **وابن جُلجل الأندلسي** [ت+٣٧٧هـ] ينص على أنَّ "***الغالب عليه الفلسفة دون الطب***"[٧٠]، أمَّا **صاعد الأندلسي** [ت٤٦٢هـ] فيقول عنه: "***فيلسوف متوسِّع في العلوم، متفنن في ضروب الحكم، متقلِّد لجوامع الفلسفة، له تآليف حسنة في المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك***"[٧١]. فيما يصف ابنه **سِنان** "***بالطبيب***"

---

(٦٣) نستند في أصل هذا الإحصاء إلى عمل د.**أمين أسعد خيرالله** في كتابه "**الطب العربي**" الصادر قبل ٨٠ عامًا (١٩٤٦م)، والذي استند فيه على كتابي: "**الفِهرست" للنديم**، و"**عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة**. وخلُص منهما إلى أنَّ عدد الكتب الطبية المترجمة في القرن الثالث الهجري فقط تبلغ (٢٨٧) كتابًا بصحيحها ومنحولها. ونجزم أن هذا العدد ينقصه الكثير من الكتب والرسائل الطبية المذكورة عند **القِفطي** في كتابه "**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**"، و**ابن جلجل** في "**طبقات الأطباء والحكماء**"، و**صاعد الأندلسي** في "**طبقات الأمم**" وغيرهم، فضلًا عن فهارس الكتب الخطية للتراث العربي كـ"**تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان**، و"**تاريخ التراث العربي" لسزكين**. ولذلك قدَّرناها بما يزيد على (٣٥٠) كتابًا طبيًا مترجمًا، ولعلنا ننشط لإحصائها على وجه الدقة، ونبيِّن صحيحها من منحولها، ومفقودها من موجودها، ومخطوطها من مطبوعها. انظر: أمين أسعد خيرالله، **الطب العربي**، ص٢٢٥-٢٤٠.

(٦٤) قدَّر أمين خيرالله عدد الكتب المؤلَّفة بـ(١٣٩) كتابًا طبيًا للنقلة الأوائل، ولم يُدرج فيه المؤلفين من غيرهم، فضلًا عن الكتب المفقودة. انظر: أمين أسعد خيرالله، **الطب العربي**، ص٢٣٦-٢٤٦.

(٦٥) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٥/١.

(٦٦) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ٤١٦/٩.

(٦٧) ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ٤١٨/١٢.

(٦٨) النديم، **الفِهرست**، ٣٣٣/١، ٣٦٤.

(٦٩) السجستاني، **صِوان الحكمة**، ص٢٩٩-٣٠٢. (تح: عبدالرحمن بدوي، د.ط (طهران: بنياد فرهنك، ١٩٧٤)

(٧٠) ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، ص٧٥. (تح: فؤاد سيد، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٩٨٥)

(٧١) صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، ص٣٧.

وحفيده **ثابت** "*بأحد المحققين في الطب*"، ولم يذكر الطبيب **أبو بكر الرازي** [ت+٣١٠هـ] أقوالًا **لثابت بن قرَّة** في كتابه "**الحاوي**"، ولا **ابن سينا** [ت٤٢٧هـ] في كتابه "**القانون في الطب**".

وتسلل هذا التصور للمستشرق الفرنسي **لوسيان لوكلير** (أبو الطب العربي) رغم حدَّة تحليله، **فوصف ثابتًا بقليل العلم في الطب**، رغم أنه عرض لبعض مؤلفاته الطبية[٧٢]. **كل هذا يدفعنا للتفكير لماذا لم يرى المتقدِّمون في ثابت بن قرَّة الطبيب الفذ؟ رغم أنَّ نحو ربع مؤلفاته العربية كانت في الطب!**

من البساطة تفسير ذلك بطغيان شهرته في الفلك والرياضيات والهندسة عن براعته في الطب، لكن يُشكل على هذا أنَّ المتقدمين يُعرِضون عن ذكر الطب ضمن اختصاصاته، في حين يذكرون براعته في فنونٍ دون ذلك كالموسيقى والمنطق -إذا نظرنا لها بمعزل عن الفلسفة- أو يؤمنون بقلَّة بضاعته فيها.

لا نملك إجابة قطعية لتفسير هذا العزوف، لكن نملك شهادتين معاصرتين **لثابت بن قرَّة** تُزكِّي مسلكه الطبي. **الأولى**: إجازة **حُنين بن إسحاق** ترجمة **ثابت** كتاب **جالينوس** "**فيما يعتقده رأيًا**" إلى العربية، فلم يُصحِّح ترجمته -التي وضعها **لمحمد بن موسى**- في حين صحَّح ترجمة **عيسى بن يحيى**[٧٣]، وكذلك ترجمة **ثابت** لكتاب "**في الكيموس**" **لجالينوس**[٧٤].

ومعلوم أن **حُنينًا** حجة الأطباء والنقلة الأوائل، فقد ترك نحو (٢١٥) كتابًا في الطب، ما بين تأليف (٨٤) وترجمة وإصلاح (١٣١)[٧٥]. **الثانية**: تقريظ الطبيب والترجمان **إسحاق بن حُنين** [ت٢٩٨هـ] لرد **ثابت بن قرَّة** على الطبيب والفيلسوف **الكِندي** [ت٢٥٦هـ]، فقد صنَّف **ثابت** كتابًا

---

(٧٢) لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ٢٢٩/١.

(٧٣) حُنين بن إسحاق، **رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس**، ص٣٦-٣٧.

(٧٤) المرجع السابق، ص٣٩.

(٧٥) أمين أسعد خيرالله، **الطب العربي**، ص٢١٥-٢٤١.

بالسريانية "**في الوقفات التي في السكون الذي يكون بين حركتي الشريان المتضادتين**" ثم نقله للعربية تلميذه **ابن أُسيد** وأصلح **ثابت** نقله، "*ثم أنفذه إلى إسحاق بن حُنين فاستحسنه استحسانًا عظيمًا*"(٧٦).

حاصل القول أنَّ **ثابت بن قرَّة** كان من رجالات الطب المبرزين في زمنه في التصنيف والترجمة، وأنه انصرف عن تطبيب العامة لعدم فراغه لذلك، واختصَّ نفسه ببعض طلابه من أهل بيته ونحلته ومن غيرهم.

ثبت مؤلَّفات ثابت بن قرَّة الطبية.

لا تورد المصادر المتقدمة في القرنين الرابع والخامس الهجريين ثبت مؤلفات **ثابت بن قرَّة**؛ لعدم وقوفهم عليها -على ما يبدو-، **فالنديم** الورَّاق لا يذكر سوى أربعة عشر كتابًا(٧٧). ومن حُسن الحظ أن **المحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصَّابئ** [ت٤٠١هـ] كتب ثبتًا بمؤلفات جده لأمه **ثابت بن قرُّة**، ساق فيه نحو مئة وخمسين كتابًا ورسالة، ثم قال: "***وله عدة مختصرات في النجوم والهندسة رأيتها بخطه وترجمتها بخطه .. وأمَّا ما نقله من لغة إلى لغة فكثير***"(٧٨)، أي أنه أحجم عن كتابتها لكثرتها، ولعدم إحاطته ببعضها.

ولم يقف مؤرخو القرنين الخامس والسادس على هذا الثبت، فجاءت تراجمهم دون الإحاطة إلا من نتفٍ من أشهر مؤلفاته، ولعل هذا يفسر عدم معرفتهم بمعارفه الطبية. **وأول من أورد** ثبت مؤلفاته كما وجدها بخطِّ **المحسِّن بن إبراهيم الصَّابئ**، المؤرِّخ اللغوي **جمال الدين**

---

(٧٦) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٨/١.

(٧٧) النديم، **الفِهرست**، ٣٣٣/١.

(٧٨) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٣/١-٩٧.

القِفطي المتوفى عام ٦٤٦هـ في كتابه "**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**"، واستند عليها **ابن أبي أصيبعة** [ت٦٦٨هـ] في كتابه "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**"(٧٩) وشاعت منهما بعد ذلك.

حديثًا، كان مؤرخ الطب العربي **لوسيان لوكلير** [ت١٨٩٣م] أوَّل من أورد بعض مؤلَّفات **ثابت بن قرَّة** الطبية في كتابه "**تاريخ الطب العربي**" حيث أورد (٣١) كتابًا طبيًا استنادًا للمصادر العربية وبعض الفهارس الخطية(٨٠). ثم الدكتور **أمين أسعد خيرالله** في كتابه "**الطب العربي**" فذكر (٤٥) كتابًا(٨١)، ثم أحصى الأستاذ **علي الشطشاط** في كتابه "**الطبيب والمترجم والناقل ثابت بن قرَّة الحرَّاني**" أوسع قائمة لمؤلفات **ثابت** الطبية استنادًا للمصادر التراثية ومظانِّ النسخ الخطية عند **بروكلمان** [ت١٩٥٦م]، **وسزكين** [ت٢٠١٨م]، فبلغت (٤٩) كتابًا لا تخلو من أوهام وتكرار(٨٢). وهو أوسع جمعٍ طالعناه.

وسنعتمد في إحصائنا القادم على المصادر التراثية والمعاصرة، مُتحرِّين الدقة والتثبُّت منها، مُصحِّحين لعناوينها أو مرجحين بينها. وقد بلغت (٥٢) كتابًا طبيًا، وهي:

أولًا: الكتب الطبية المترجمة(٨٣).

عُرف **ثابت بن قرَّة بالترجمة**، فكان من "*حذَّاق التراجمة في الإسلام*" كما قال عصريه **أبو معشر البلخي** [٢٧١هـ]، و "*أعظم المترجمين في مدرسة حرَّان*"(٨٤). وكانت المهنة الغالبة على النقلة

(٧٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٥/١.

(٨٠) لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ٢٢٥/١-٢٢٦.

(٨١) أمين أسعد خيرالله، **الطب العربي**، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٨٢) من ذلك كتاب "**جوامع كتاب الكرما لجالينوس**" وليس لجالينوس كتاب بهذا العنوان، وكتاب "**في علم ما التقويم بالممتحن**" وهو في الهندسة، وميَّز بين كتابين هما كتاب واحد، بين كتاب "**البصر والبصيرة**" وكتاب "**في علم العين وعللها ومداواتها**" وهو على كلٍ خطأ شائع في النسخ الخطية، وكرَّر كتاب "**في تدبير الصحة**". انظر: علي الشطشاط، **الطبيب ثابت بن قرَّة**، ص١٥٤-١٥٩.

(٨٣) اعتمدنا في ذكر ثبت مؤلفات **ثابت بن قُرة** الطبية على تسمية **القِفطي** نقلًا عن دستور حفيد المؤلف من ابنته **المحسِّن بن هلال بن إبراهيم الصَّابئ** في ثبته لمؤلفات جده، وسنحيل على غيره عند الاقتضاء. أمَّا بيان المفقود منها، والمخطوط من المطبوع فله مناسبات قادمة بإذن الله.

(٨٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٨٦/١. وقدري طوقان، **تراث العرب العلمي**، ص١٩٦.

الأوائل بجوار اشتغالهم بالترجمة، صنعة الطب، فقد بلغ عدد الأطباء المترجمين نحو ٣٠ طبيبًا مترجمًا في القرن الثالث الهجري[(٨٥)].

١) كتاب في الكيموس[(٨٦)] لجالينوس.

مقالة واحدة، ترجمه **حُنين بن إسحاق** إلى السريانية، ثم نقله **ثابت بن قرَّة** للعربية، وهناك نقلان آخران للعربية من ترجمة **حُبيش بن الأعسم**، و**شملي**. واللافت أنَّ نقل **حُبيش** كان **لأحمد بن موسى بن شاكر** أخو **محمد بن موسى** وليّ نعمة **ثابت بن قرَّة**، فلمن نقل **ثابت** الكتاب؟ أمَّا **شملي** المذكور فالحديث عنه في المصادر شحيح جدًا[(٨٧)].

٢) كتاب ما يعتقده رأيًا لجالينوس.

مقالة واحدة، ترجمه **حُنين بن إسحاق** إلى السريانية لابنه إسحاق، ثم نقله **ثابت بن قرَّة** للعربية **لمحمد بن موسى بن شاكر**، أي أنه كان من أوائل مترجماته عند وصوله بغداد[(٨٨)].

ثانيًا: الاختصارات الطبية.

٣) اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس.

٤) اختصار كتاب أيام البحران لجالينوس.

٥) اختصار كتاب في [قوى] الأغذية لجالينوس.

٦) اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس[(٨٩)].

٧) اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس[(٩٠)].

---

(٨٥) مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص١٥٣.

(٨٦) الكيموس: خلاصة المادة السائلة بعد الهضم.

(٨٧) حُنين بن إسحاق، **رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس**، ص٣٦.

(٨٨) المرجع السابق، ص٣٦-٣٧.

(٨٩) يذكر **ابن أبي أصيبعة** أنه ضمن كتب الجوامع، ٢٩٩/١.

(٩٠) ينفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٩/١.

٨) **اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس**[٩١].

٩) **مختصر كتاب في المولودين لسبعة أشهر لجالينوس**[٩٢].

ثالثًا: الجوامع الطبية.

١٠) **جوامع كتاب الأعضاء الآلمة لجالينوس.**

١١) **جوامع كتاب المِرَّة السوداء لجالينوس.**

١٢) **جوامع كتاب جالينوس في الأدوية المنقِّية**[٩٣].

١٣) **جوامع كتاب جالينوس في الأدوية المفردة.**

١٤) **جوامع كتاب جالينوس في الذبول.**

١٥) **جوامع كتاب جالينوس في سوء المزاج المختلف.**

١٦) **جوامع كتاب جالينوس في تدبير الأمراض الحادة على رأي بقراط.**

١٧) **جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان.**

١٨) **جوامع كتاب جالينوس في تشريح الرحم**[٩٤].

١٩) **جوامع كتاب الفصد لجالينوس**[٩٥].

٢٠) **جوامع كتاب الكثرة لجالينوس**[٩٦].

٢١) **جوامع ما قاله جالينوس في كتابه تشريف صناعة الطب**[٩٧].

---

(٩١) ينفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(٩٢) ورد اسمه في المخطوط الذي بين يدينا خطأً "**في المولودين لتسعة أشهر**"، وتفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(٩٣) في المخطوط: "**جمل مقالة جالينوس في الأدوية المنقِّية**"، والأدوية المنقِّية هي "**المسهِّلة**" في استخدام بعض المتقدمين.

(٩٤) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٨، وجاء في مخطوطنا "**ما قاله جالينوس في الرحم وكتبه في التشريح**" والصحيح ما أثبتناه؛ لأنه متوافق مع كتاب **جالينوس** "**في تشريح الرحم**".

(٩٥) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٨، وللطبيب المصري **علي بن رضوان** [ت٤٥٢هـ] كتاب بهذا الاسم.

(٩٦) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٨، وهو مطابق لما جاء في عنوان مخطوطنا.

(٩٧) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٨، ولم نقف على كتاب بهذا الاسم **لجالينوس**، وعنوانه سائغ في نسبته إليه، ويلزم مراجعة النسخ الخطية لكتاب **ابن أبي أصيبعة**، والله أعلم.

٢٢) جمل كتاب جالينوس في أصناف الأمراض[٩٨].

رابعًا: المؤلَّفات الطبية (علم الطب وآدابه).

٢٣) الذخيرة [في علم الطب].

يُنسب **لثابت بن قرَّة**، بل هو أشهر كتبه الطبية المنسوبة إليه منذ تداوله بين الناس ببغداد وحتى اليوم، عُرف بعد وفاته كـ "**كنَّاش**"[٩٩] يُدعى "**الذخيرة**"، وجاء في مقدمته أنه ألَّفه لولده **سِنان بن ثابت** ممَّا جمعه **ثابت** في أيام حياته[١٠٠]. وسبب التشكيك فيه يعود لنفي حفيده **ثابت بن سِنان** أن يكون ما يتداوله الناس من كنَّاشٍ لجده "*فليس ذلك لثابت ولا وجدته في كتبه ولا دساتيره*[١٠١]"[١٠٢].

ولم تُعقد مقارنة بين آراء **ثابت بن قرَّة** في "**الذخيرة**" وبين باقي كتبه الطبية؛ لعدم نشر أصولها المخطوطة بين الدارسين، سوى كتاب "**علم العين وعللها ومداواتها**".

---

(٩٨) لم يُذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات **ثابت بن قرَّة** عند أشهر من ترجم له. وأثبتنا عنوانه من المخطوط الذي بين يدينا. و "**أصناف الأمراض**" **لجالينوس** هي المقالة الأولى ضمن ست مقالات متفرقة، جمعها **الإسكندرانيون** في "**كتاب العلل والأمراض**"، وهو من نقل **حُنين بن إسحاق**. انظر: النديم، **الفِهرست**، ٣٥١/١. و ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٣٦/١.

(٩٩) الكُنَّاش: "*الأصول التي تتشعب منها الفروع*" كما يقول **الفيروزآبادي** في "**القاموس المحيط**" (١/ ٦٠٤). وهو عادة ما يقيده المؤلفون من فوائد علمية للمراجعة والضبط، غير مُعدَّة النشر.

(١٠٠) جاء في مقدمته: "*هذا كتاب الذخيرة الذي يشتمل على ما يُحتاج إليه من علم الطب في وصف الداء والدواء على ما أُوجز ما يتهيأ أن يكون تجربة إمام زمانة ثابت بن قرَّة في العلوم الطبيعية. جمعه أيام حياته لابنه سِنان بن ثابت بن قرَّة*". انظر: ثابت بن قرَّة، **كتاب الذخيرة في علم الطب**، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٨).

(١٠١) مفردها دستور، وهي كلمة فارسية تعني: نسخة المؤلف الأصلية بخطه، والتي تعود إليها كل النسخ الخطية. والمقصود أن **ثابت بن سِنان** لم يجد هذا "**الكنَّاش**" في كتب جدِّه المتداولة -صحيحة النسبة- ولا في مسوَّدات كتبه. ومما وصلنا من دستور **ثابت بن قرَّة**، نسخة ألفية نفيسة من كتابه "**في آلات الساعات التي تسمى رخامات**" منسوخة عام ٣٧٠هـ بخط حفيده **إبراهيم بن هلال الصابئ** (والد **المحسِّن** الذي كتب ثبت مؤلفاته) يقول في آخرها: "*نُسخت جميع ذلك من دستور أبي الحسن ثابت بن قرة -رضي الله عنه- الذي بخطه. وكتب إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة. قابل به هذا الدستور، وصح ولله الشكر*". (فاضل أحمد باشا- ٩٤٨-١). وقد زودني بها مشكورًا أخي المتفضل الأستاذ **عبدالصمد النذير**، وأفاض عليَّ بغيرها؛ مما عزَّ علي تحصيله مع حرصٍ في الطلب، فله خالص الثناء والدعاء. للاستزادة انظر: آدم جاسك، **تقاليد المخطوط العربي**، ١٠٨/١.

(١٠٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٩٦/١.

٢٤) كتاب الروضة في الطب.

لم تُذكر في ثبت مؤلفاته، ولها نسخة خطية في مكتبة بودليانا بجامعة أوكسفورد (٥٧٤/١).

لم نطالعها بعد، ويُحتمل أن تكون نسخة من "**الذخيرة**".

٢٥) كتاب مراتب قراءة العلوم.

لم يدرج **الشطشاط** هذا الكتاب ضمن كتب **ثابت بن قرَّة** الطبية، ونحسب دخوله فيه؛ لأن علم الطب رأس العلوم، ومن اللازم إفراد حديث لمراتب قراءة كتبه؛ ولأن المؤلف يحاكي فيه تقليد "**كتب القراءة**" الشائعة في التراث اليوناني، **فجالينوس** صنَّف كتابًا "**في مراتب قراءة كتبه**"، ولعصريه الطبيب **قسطا بن لوقا** [ت+٢٨٦هـ] كتابٌ "**في مراتب قراءة الكتب الطبية**"[(١٠٣)]. وأشار حفيد المؤلف **ثابت بن سِنان** إلى هذا الكتاب في كتابه "**تهذيب الأخلاق**".

٢٦) كتاب في الحث على تعلم الطب والحكمة[(١٠٤)].

صنَّفه لابنه **سِنان بن ثابت** يستحثُّه على الجمع بين تعلم الطب والفلسفة.

٢٧) كتاب "الخاصَّة في تشريف صناعة الطب" وترتيب أهلها وتعريز المنقوصين منهم بالنفوس والأخبار أنَّ صناعة الطب أجلُّ الصناعات[(١٠٥)].

وضعه **ثابت بن قرَّة** للوزير **عبيدالله بن سليمان بن وهب**، وزير **المعتمد والمعتضد**، ويبدو أن علاقة خاصة جمعت بينهما، فقليلٌ ما يؤلِّف **ثابت** كتبًا للوزراء. وعنوان الكتاب يشيء بوجود

(١٠٣) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٣٤/١، ٣٣٠.
(١٠٤) تفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٩/١.
(١٠٥) تفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٩/١.

حدث أدَّى لتراجع مكانة بعض الأطباء لحساب غيرهم من أهل الفنون، فأراد **ثابت** إعادة استحقاقهم، وأن الطب أجلُّ الصناعات[١٠٦].

٢٨) كتاب في تدبير الصحة.

كتبه على غرار كتاب **جالينوس**، وكتب "**تدبير الصحة**" يُقصد بها الدليل إلى الحياة الصحية بأبسط الطرق، وأُلِّف بعضها للخلفاء[١٠٧].

خامسًا: المسائل والسؤالات.

٢٩) المسائل الطبية[١٠٨].

٣٠) جوابات مسائل المعتضد.

وهي في جزئين في نحو مئتي ورقة، سألها **المعتضد بالله ثابتَ بن قرَّة**[١٠٩] في عدة فنون ومنها الطب.

٣١) مسائل عيسى بن أسيد وأجوبتها[١١٠].

وضع **ثابت** هذا الكتاب بالسريانية، وترجمه **ابن أُسيد** إلى العربية. وكان **عيسى بن أُسيد** مترجمًا متقنًا من أخصِّ تلاميذ **ثابت**، ويَغلب على الظن أنها مسائل طبية؛ لإشارة بعض المصادر

---

(١٠٦) قد يكون كتاب **ثابت بن قرَّة** بمثابة الرد غير المباشر على **الجاحظ** [ت٢٥٥هـ]، الذي أزرى بالأطباء بقوله: "*الطب موضوع كل التخمين والحدس، وتعليل النفس، لا يوصل منه إلى الحقيقة، ولا يحكم فيه بالوثيقة*". وألَّف كتابًا في "**نقض الطب**"، وردَّ عليه **الرازي** في كتابه "**الرد على الجاحظ في نقض صناعة الطب**". ولم يقف السجال بين المعتزلة والأطباء عند هذا الحد، فألَّف **أبو علي الجبائي** [ت٣٠٣هـ] كتابًا في "**نقض الطب**"، وردَّ **الرازي** على **ابن التمّار** وغيره في نقضهما. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٤٢٢/١. و الثعالبي، **اللطائف والظرائف**، ٤٩/١. [(بيروت: دار المناهل، ١٩٩٢)].

(١٠٧) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٩/١، ٥٣٥، ٥٨٣.

(١٠٨) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٨/١.

(١٠٩) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٩٦/١.

(١١٠) ورد عند **النديم** بعنوان "**كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى بن أُسيد**"، ٣٣٣/١، وذكره **ابن أبي أصيبعة** بما أثبتناه، ٢٩٨/١.

إلى اشتغال **أُسيد** بالطب[١١١].

٣٢) جواب ما سُئل عنه عن البُقراطيين وكم مبلغ عددهم؟[١١٢].

أورد **النديم** قطعة منه في "**الفِهرست**"، منقولة من خط **ثابت بن قرَّة**[١١٣].

٣٣) كتاب مساءلة الطبيب للعليل (المريض).

"*ينبغي للطبيب أن لا يدع مُساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج، ثم يقضي بالأقوى*"، كما يقول **أبو بكر الرازي**[١١٤].

سادسًا: الطب العملي والتشخيصي.

٣٤) كتاب في الجدري والحصبة.

٣٥) كتاب في وجع المفاصل والنقرس.

٣٦) كتاب الحصى [المتولد] في الكلية والمثانة.

٣٧) كتاب البياض الذي يظهر في البدن.

٣٨) كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها[١١٥].

من أشهر كتب **ثابت بن قرَّة** المتداولة، وكان حفيده **ثابت بن سِنان** معنيًا بمسائِله[١١٦].

---

(١١١) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ١٠٢/٢١.

(١١٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٩٩/١.

(١١٣) النديم، **الفِهرست**، ٣٥٥/١.

(١١٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٤٢١/١.

(١١٥) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ٢٩٩/١.

(١١٦) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٤٨٧/١.

٣٩) كتاب في وصف القرص[١١٧].

٤٠) مقالة في الصفرة العارضة للبدن وفي عدد أصنافها وأسبابها وعلاجها[١١٨].

٤١) مقالة في النبض[١١٩].

٤٢) كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادين[١٢٠].

٤٣) كتاب في سوء المزاج المختلف[١٢١].

وهو على مِنوال كتاب **جالينوس**.

سابعًا: الأدوية.

٤٤) كتاب في أجناس ما تنقسم إليه الأدوية (سرياني).

٤٥) كتاب في أجناس ما توزن به الأدوية (سرياني).

ثامنًا: في النفس[١٢٢].

٤٦) كتاب في الرد على من قال أنَّ النفس مزاج.

٤٧) كتاب في النفس.

٤٨) مقالة في النظر في أمر النفس.

---

(١١٧) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(١١٨) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(١١٩) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(١٢٠) صنَّف **ثابت بن قرَّة** هذا الكتاب من مقالتين بالسريانية؛ لأنه "*أومأ فيه إلى الرد على [الطبيب] الكِندي*"، ونقله تلميذه ابن أُسيد إلى العربية بإصلاح **ثابت** [نفسه]. ويبدو لنا أنَّ تصنيفه لهذا الكتاب كان استجابةً لطلب **محمد** و**أحمد** ابنا **موسى بن شاكر** اللذان أرادا ردَّ الاعتبار لهما [لنفسيهما] بعد غضب **المتوكّل** [ت٢٤٧هـ] عليهما؛ بسبب فريتهما على **الكِندي**، مما أدَّى إلى مصادرة مكتبته "الكِندية" مدة، ثم أُعيدت له بعد معرفة **المتوكّل** بالوشاية. وبالتالي، يكون هذا الكتاب من أوائل الكتب التي صنَّفها **ثابت بن قرَّة** في بغداد بعد قدومه نحو عام ٢٥٧هـ، ولأن وفاة **الكِندي** و**محمد بن موسى** كانت عام ٢٥٩هـ وكان **ثابت** حريصًا على عدم المصادمة [التصادم] المباشرة مع **الكِندي**، فألّف الكتاب بالسريانية، وأومأ بالرد على الكِندي [عليه] ولم يُصرّح به [بذلك]. انظر: **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٨٦، ٢٩٨.

(١٢١) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

(١٢٢) انفرد بذكره **ابن أبي أصيبعة**، ١/٢٩٩.

تاسعًا: في الأجنَّة.

٤٩) كتاب في صفة كون الجنين.

٥٠) رسالة في اختياروقت لسقوط النطفة.

عاشرًا: في الحيوان.

٥١) كتاب في تشريح بعض الطيور.

ويقال أنَّ المقصود طائر "مالك الحزين".

٥٢) كتاب البيطرة.

لم نقف عليه عند من ترجم له، وله نسخة خطية منسوبة إليه في كوبريللي (٩٥٩)[١٢٣]. ومما يوحي بالنكارة في أصل نسبته **لثابت**، ما جاء في إحدى مخطوطات مكتبة باريس برقم ١٠٣٨ في فهرس الرصد القديم، "*أنَّ ثابتًا ترجم من الفارسية إلى العربية رسالة في البيطرة*"[١٢٤]، ولم تشر المصادر التاريخية إلى معرفته باللغة الفارسية.

ونسب أحدهم كتابًا له "**في الأطعمة**" مُحيلًا في ذلك **لابن أبي أصيبعة** ولم نجده، وقد يكون المقصود كتابه "**فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح**"[١٢٥] وهو في شؤون الصَّابئة الدينية. والله أعلم.

(١٢٣) علي رضا بلوط، **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، ص٧٥٧.

(١٢٤) لوسيان لوكلير، **تاريخ الطب العربي**، ١/٢٢٩.

(١٢٥) علي الشطشاط، **الطبيب ثابت بن قرَّة**، ص١٥٧. و القِفطي، **إخبار العلماء**، ١/٩٧.

٢/ سِنان بن ثابت بن قرَّة الحرَّاني.

وُلد **سِنان بن ثابت** في مدينة حرَّان على ما يُفهم من قصة رواها عن والده وجدِّه **قرَّة**[١٢٦]، ولا تورد مصادر ترجمته مكان وتاريخ ميلاده[١٢٧]، **ويمكن تقديرها في حدود عام ٢٥٥هـ**؛ لأن والده هاجرَ إلى بغداد بعد تولي **المعتمد على الله** عام ٢٥٦هـ، وقبل وفاة **محمد بن موسى بن شاكر** عام ٢٥٩هـ، والذي كان في خدمته العلمية مقابل أجر شهري للترجمة عدة سنين[١٢٨].

والأخبار عن نشأة **سِنان بن ثابت** في بغداد شحيحة، إلا من خبر تأليف والده له كتابًا "**في الحث على تعلُّم الطب والحكمة**"[١٢٩]، وقد يعني هذا انشغال ابنه **سِنان** بعلوم الهندسة والفلك، التي برع فيها تأليفًا وترجمة[١٣٠]، ونلحظ أنَّ **ثابتًا** لم يكتفي بحثِّ ابنه على تعلم الطب؛ الذي سيضمن له المكانة السياسية والاجتماعية في دار الخلافة، بل حثَّه على تعلم الفلسفة، **فلماذا**؟ يبدو أن **ثابتًا** أراد أن يجمع ولده **سِنان** بين صنعة الطب وتعلم الفلسفة، كحال **إسحاق** ابن صاحبه **حُنين بن إسحاق**، وقد كان. وورَّث **سِنان** هذا المسلك لابنه **ثابت بن سِنان** فكان طبيبًا وفيلسوفًا أخلاقيًا.

ويمكن أن يُقال في تبرير وضع **ثابت بن قرَّة** كتابًا لابنه **سِنان**، أنَّ تأليف كتابٍ في الحثِّ على تعلُّم العلوم **كان تقليدًا يونانيًا** انتقل إلى بغداد بفعل الترجمة، فقد نقلَ **حُبيش الأعسم** كتابًا **لجالينوسَ "في الحث على تعلم الطب"**[١٣١]، وضع له حُنين جوامعًا[١٣٢]. كما وضع عصريه أبو

(١٢٦) السجستاني، **صِوان الحكمة**، ص٣٠٠.

(١٢٧) النديم، **الفِهرست**، ٣٦٤/١ وما بعدها.

(١٢٨) يذكر **أبو سليمان السجستاني** أنَّ الأجرة الشهرية التي كانت تُدفع لمترجمي **آل موسى بن شاكر (محمد وأحمد والحسن)** تُقدَّر بـ(٥٠٠) دينار، وهذا مبلغ كبير جدًا بمقاييس ذلك الزمن، وهو ما يفسر كيف تم ترجمة أمَّهات كتب الهندسة والفلك والرياضيات اليونانية بواسطة **حُنين** ومراجعة **ثابت بن قرَّة**. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٦٠/١.

(١٢٩) المرجع السابق، ٢٩٩/١.

(١٣٠) **لسِنان بن ثابت** في كتب الهندسة والفلك: "**المسائل الهندسية**"، و "**إصلاح كتاب أرشميدس في المثلثات**"، ورسالة "**في النجوم**"، وكتاب "**في الأنواء**". انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠٤/١.

(١٣١) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٠٥/١.

(١٣٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٢٧٢/١.

يوسف الكِندي كتابًا" **في الحث على تعلم الفلسفة**"[١٣٣]. وكتابُ **ثابت بن قرَّة** جمع بينهما؛ تعلم الطب والفلسفة.

وإذا رجَّحنا نسبة "**كتاب الذخيرة**" **لثابت بن قرَّة**، فيكون هذا الكتاب دستور ابنه **سِنان** في تعلُّم صنعة الطب، عوضًا عن كتب الطب المتداولة في بغداد حينها[١٣٤]. وقد جاء في مقدمته أنَّ **ثابتًا** جمعه في أيام حياته لابنه **سِنان**، وجَعَله في واحد وثلاثين بابًا[١٣٥].

حاصل الأمر أنَّ **سِنان بن ثابت** تربى وتعلم في كنفِ والده والأطباء المحيطين به في بغداد، وكان تعليم الطب يتطلب "***التجربة في الصناعة دون الاستغناء عن ملازمة المعلمين وقراءة كتب الماضين***"[١٣٦].

ويؤكد **الرازي** -رئيس بيمارستان بغداد- أهمية مزاولة تعلم الطب في المستشفيات، بقوله: "*ليس يكفي في صناعة الطب قراءة كتبها، بل يُحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى. إلا أنه إن قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من التجربة كثيرًا، والذي زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب،* ***يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة ولا يشعر بها البتة***، *ولا يمكن أن يلحق بها في مقدار عمره، ولو كان أكثر الناس مزاولة للمرضى، وما يلحق قارئ الكتب على أدنى مزاولة* "[١٣٧].

---

(١٣٣) القِفطي، **إخبار العلماء**، ٢٧٥/١.

(١٣٤) من أشهر الكتب الطبية المتداولة في بغداد، عدا كتب المترجمات وجوامعها واختصاراتها، كتاب "**فردوس الحكمة**" للطبيب **علي بن سهل** المعروف بـ"**ابن ربن الطبري**"، الذي ألَّفه **للمتوكل** عام ٢٣٦هـ، وكان موسوعةً طبيةً استوعبت المعارف الطبية المترجمة في بغداد حينها. ثم نال "**كتاب المنصوري**" **للرازي** شهرةً أوسع لإيجازه وحسن تبويبه، وموقع "**كتاب الذخيرة**" بينهما. انظر: مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٨-٢٩.

(١٣٥) ثابت بن قرَّة، **الذخيرة في الطب**، ص (هـ).

(١٣٦) ابن ربن الطبري، **فردوس الحكمة في الطب**، ص٨. (تصحيح: محمد زبير الصديقي، برلين: مطبعة أفتاب، ١٩٢٨). وللرازي حديث بنحو هذا المعنى: "*هذه الصناعة إذا لم يحتذ بها على مثال من تقدمه أن يلحق فيها كثير شيء، ولو أفنى جميع عمره فيها؛ لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير*". مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٧.

(١٣٧) المرجع السابق، ص٢٨.

وعليه، يكون سِنان بن ثابت قد زاول **مهنة الطب في مستشفى بغداد** (بيمارستان الرشيد)، واحتكَّ بالأطباء المقيمين والوافدين في بغداد، وأدرك اختلاف مراتبهم ومدى تمكنهم من الصنعة، ولذلك أصبح لديه تصورٌ كامل عن حال المستشفيات والأطباء والمرضى، مما جعله -فيما بعد- **مشرفًا عامًا على مستشفيات بغداد ورئيسًا لأطبائها ومنشئًا للعديد منها**؛ لأنه امتلك التصور التام لحالها، واستطاع -بحكم قربه من الخلفاء وتحديدًا **المقتدر بالله**- بناء **أفضل نظام طبي في بغداد في عصرها الذهبي**. وهو ما سنتناوله بالحديث تفصيلًا.

عاصر **سِنان بن ثابت** أنجب أطباء بغداد -مواطنًا أو ارتحالًا- ومنهم **قسطا بن لوقا** [+٣٠٠هـ]، **وأبو عثمان سعيد بن يعقوب** [ت+٣١٠هـ]، **وأبو بكر الرازي** [ت نحو٣٢٠هـ]، **وبختيشوع بن يوحنا** [ت٣٢٩هـ]، **وداود بن ديلم** [ت٣٢٩هـ].

في عام ٢٩٥هـ بزغ اسم **سِنان بن ثابت** كطبيب للخليفة **المقتدر بالله** (٢٩٥-٣٢٠هـ) الذي كان "***خصيصًا به***"[١٣٨]، ثم **للقاهر بالله** (٣٢٠-٣٢٢هـ) الذي أكرهه على الإسلام، فهرب ثم عاد وأسلم على ما يُروى[١٣٩]، ثم طبيبًا **للراضي بالله** (٣٢٢-٣٢٩هـ) والقائد التركي **بجكم** [ت٣٢٩هـ][١٤٠]، ويبدو أنه خدم **المتقي بالله** (٣٢٩-٣٣٣هـ) حتى وفاته عام ٣٣١هـ.

ترك **سِنان بن ثابت** أكثر من **عشرين عملًا علميًا** بين تأليف وترجمة وإصلاح في الفلك والهندسة والتاريخ واللغة وديانة الصابئة، بحسب إفادة حفيده **المحسِّن بن إبراهيم**

---

(١٣٨) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٤٨/١.

(١٣٩) النديم، **الفِهرست**، ٣٦٤/١.

(١٤٠) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنبـاء**، ٣٠٠/١-٣٠٢.

الصابئ[١٤١]، وأشار المسعودي لكتاب له في فلسفة الأخلاق[١٤٢]، قد يكون كتابه "**سياسة النفوس**"[١٤٣].

إسهامات سِنان بن ثابت بن قرَّة الطبية.

١. تطبيب الخلفاء والوزراء.

عمل **سِنان بن ثابت** في تطبيب الخلفاء العباسيين ستة وثلاثين عامًا (٢٩٥-٣٣١هـ)، والوزراء كالوزير **ابن الفرات** [ت٣١٢هـ] وزير **المقتدر**, وقادة الجند **كبجكم** التركي [ت٣٢٩هـ].

٢. الإشراف على مستشفيات (بيمارستانات) بغداد.

تولى **سِنان بن ثابت** الإشراف على كافة مستشفيات بغداد[١٤٤]، وهي:

١. بيمارستان الرشيد.

وهو أول مستشفى أنشأه **هارون الرشيد** بالجانب الغربي من بغداد[١٤٥].

٢. بيمارستان بدر أو الصاعدي.

يُنسب إلى **بدر المعتضدي** غلام الخليفة **المعتضد بالله** (٢٧٩-٢٨٩هـ)، ويقع جنوب الرصافة، "***وقد رتِّب فيها المتطببون والبوابون، وجهزت بالأدوية والأطعمة***"، ويُحتمل وجود قسم فيها للمجانين، خُصص لهم من يخدمهم[١٤٦].

---

(١٤١) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١/١٥١.

(١٤٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ١/١٦.

(١٤٣) نعمل على نشره قريبًا -بإذن الله تعالى- ضمن "**منحة قنو اتي**" بمعهد الدومنيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة.

(١٤٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١/٣٠١.

(١٤٥) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١/٢٤٨. و أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ص١٧٨.

(١٤٦) مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٢٧.

٣. بيمارستان الوزير علي بن عيسى الجرَّاح.

أنشأه **علي بن عيسى** (وزير **المقتدر بالله**) عام ٣٠٢هـ، وقلَّده الطبيب **أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي**، وهو أحد النقلة الحُذَّاق في الطب والفلسفة، وله مختصر على كتاب **جالينوس "في الأخلاق"**(١٤٧).

٤. بيمارستان السيدة أم المقتدر.

أنشأته **شغب** أم الخليفة **المقتدر بالله** عام ٣٠٦هـ، وقلَّدته **سِنان بن ثابت**، وهو أول مستشفى يتولى **سِنان** إدارته، فرتب فيه الأطباء واستقبل المرضى، **ويُعد أكبر مشفى في بغداد** بالنظر لميزانيته السنوية الكبيرة (٧٠٠٠) دينار، إذ تفوق هذه الميزانية، ميزانية جميع البيمارستانات في بغداد في زمنه(١٤٨).

٥. البيمارستان المقتدري.

أنشأه الخليفة **المقتدر بالله** عام ٣٠٦هـ في باب الشام. بإشارة من طبيبه **سِنان بن ثابت**؛ بهدف توزيع أماكن المستشفيات في بغداد، وأصبح **سِنان** مديرًا عليه. وبلغت ميزانيته في العام (٢٤٠٠) دينار(١٤٩).

٦. بيمارستان ابن الفرات.

أنشأه الوزير **ابن الفرات** عام ٣١١هـ، بدرب **المفضل بن زمام** (أحد موالي **المهدي**). وفي عام ٣١٣هـ قلَّد الوزير الخاقاني **ثابت** ابن الطبيب **سِنان بن ثابت** هذا المستشفى لإدارته، وكان ينفق

---

(١٤٧) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣١٦/١.

(١٤٨) هيله القصير، **دورسِنان بن ثابت في تطور الطب ونشر الوعي الصحي**، ص١٣٨١، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، ٢٠١٥، عدد٣٥.

(١٤٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠٢/١.

عليه كل شهر (٢٠٠) دينار[١٥٠]. فكان الوالد يشرف على إدارة ابنه.

٧. بيمارستان بجكم.

أنشأه القائد التركي **بجكم** عام ٣٢٩هـ بإشارة -على ما يبدو- من **سِنان بن ثابت** بعد ما **أرشده لعلاج نفسه وهم بواسِط**، وقيل إن الغرض من إنشائه مكافحة انتشار الأوبئة التي حدثت في ذلك العام[١٥١].

٣. تنظيم مهنة الطب، ووضع معايير لاختيار الأطباء.

معلومٌ أنَّ **المقتدر بالله** قلَّد **سِنان بن ثابت** منصب "رئيس أطباء بغداد". وفي عام ٣١٩هـ أصيب أحد المرضى بضرر؛ بسبب خطأ أحد الأطباء، فأمر **المقتدر** بعمل **اختبار لكافة أطباء بغداد**، عدا المشهورين منهم في الصنعة وأطباء الخليفة، وكلَّف **سِنان بن ثابت** بعمل اختبار لهم، ولا نعلم كنه هذا الاختبار، هل هو اختبار عملي على المرضى ونظري حول مدى إحاطة المختبِر بعلم الطب، أم عملي فقط؟ وكان **سِنان يمنح المجتاز رقعة يُجيز له بموجبها العمل في الطبابة**، وبلغ عدد الأطباء المتحنين نحو ٨٦٠ طبيبًا، ولا بد أن الأمر استغرق أسابيعًا أو شهورًا لاختبار هذا العدد الكبير[١٥٢].

ونتج عن ذلك **تقنين مهنة الطب، وعدم السماح بمزاولتها إلا لمن يُمنح شهادة من رئيس الأطباء**، كما تم تصفية الدجالين الذين يمارسون المهنة ويستغلون جهل الناس. كما أفاد هذا الاختبار بحصر عدد الأطباء في بغداد، والحدِّ من الأخطاء الطبية؛ لخشية الأطباء من سحب إجازة التطبيب الممنوح لهم[١٥٣].

---

(١٥٠) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠٤/١-٣٠٥. و أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ص١١٨. و مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٢٩.

(١٥١) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٤٩/١. و مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٢٩.

(١٥٢) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٤٨/١-١٤٩.

(١٥٣) هيله القصير، **دور سِنان بن ثابت في تطور الطب**، ص١٣٦٨.

٤. الرعاية الصحية للمساجين.

تولّى **سِنان بن ثابت** الإشراف على تطبيب المساجين وشارك بنفسه في أوقات انتشار الأوبئة والأمراض. وتم تكليفه بذلك من قبل الوزير **علي بن عيسى الجرَّاح**[١٥٤]، الذي أنشأ في عام ٣٠٢هـ مستشفى بالحربية لمكافحة انتشار الأمراض في بغداد. وجاء في توجيه الوزير **لسِنان** أن يوفّر لهم العدد الكافي من الأطباء ليُشاوروهم في أعراضهم الصحية ويُطببوهم، وأن يكون تواجد الأطباء كل يوم، ويصرفون لهم الأدوية والأشربة بشكلٍ مباشر، ولا يستثنون أحدًا منهم من العلاج، وقد فعل **سِنان** كل ذلك باقتدار[١٥٥].

٥. توفير الرعاية الصحية لأهل الأرياف.

أشرف **سِنان بن ثابت على توفير الرعاية الصحية لأهل الأرياف** في أرض السواد بالعراق، وذلك بسبب خلو ديارهم من الأطباء لبُعدها عن مراكز المدن. وكان أمر إنفاذ الأطباء إلى هناك مع **خزانة الأدوية والأشربة المتنقلة** صادرًا من الوزير المحسن **علي بن عيسى** أيضًا[١٥٦]، وجاء في توجيهه **لسِنان** أن يجعل الأطباء يُقيمون في كل صقع مدة ما تدعو الحاجة إليه، ثم ينتقلون إلى غيرها من الأصقاع، ففعل الأطباء ذلك بإشراف مباشر من **سِنان بن ثابت**، وكانوا يتراسلون معه بالبريد لإخباره بما يستجد معهم[١٥٧].

---

(١٥٤) من أشهر وزراء الخلفاء العباسيين، كان أبوه كاتبًا وابنه عالمًا. وُلي مكة، واستقدمه **المقتدر** لبغداد وزيرًا سنة ٣٠١هـ وعزله بسبب الوُشاة عام ٣٠٤هـ، ثم عاد للوزارة عام ٣١٤هـ وعُزل بعدها. توفي عام ٣٣٤هـ وكان عالمًا له مؤلفات ساعده فيها بعض العلماء، ومحسنًا كبيرًا مشهودًا له بالخير والعطاء، ولم يقتل أحدًا ولا سعى في دمه كما يُقال. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ٣١٧/٤.

(١٥٥) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠١/١.

(١٥٦) تشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الأوامر صدرت من الوزير في عهد وزارته الأولى (٣٠١-٣٠٤هـ)؛ لانتشار الأمراض والأوبئة في تلك الفترة. انظر: مؤيد اللهيبي، **الاتجاهات الفكرية والسياسية**، ص٢٢٨.

(١٥٧) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠١/١.

٦. الإنسانية في الرعاية الصحية.

كان أغلب أطباء الحضارة العربية الإسلامية من غير العرب والمسلمين، كما هو الأمر معروف. ولم يجد العرب والمسلمون أيَّ حرج أو شككوا في مهنيتهم. وكانت البيمارستانات في بغداد تفتح أبوابها لكل المرضى دون تفريق بين ملِّي وذمِّي.

يتجلَّى البُعد الإنساني عند **سِنان بن ثابت** في قصة تكليفه من الوزير **علي بن عيسى الجرَّاح** في تطبيب أهل السواد والأرياف، بكل ما يحتاجونه من الأدوية والأشربة في كافة القرى التي يقيمون فيها. وحصل أن وصل هؤلاء الأطباء إلى مدينة "**سورا**" في بابل، وهي مدينة **غالبية سكانها من اليهود**، بل هي مركزٌ دينيٌ معروف، يقيم فيها كبار الحاخامات، ومنهم: **سعديا الفيومي** الذي تولى رئاسة مدرسة سورا عام ٣٢٤هـ، والتي أُغلقت نهاية القرن الرابع الهجري نتيجة التعصب الديني[١٥٨].

والحاصل أنَّ هؤلاء الأطباء وصلوا إلى هذه المدينة، فوجدوا أنَّ الدَّاء قد انتشر فيهم، وكثر المرضى بينهم، ما يتطلب مكوثهم الطويل فيها لعلاجهم، وأخذ إذن الوزير في ذلك؛ لأن المرحلة العلاجية كانت مموَّلة منه[١٥٩]. فبعثوا بكتاب إلى **سِنان بن ثابت** يعرضون عليه الأمر، فأرسل **سِنان** ذات الكتاب إلى الوزير **ابن الجرَّاح**، وكتب بذكاءٍ بارع "***أنه لا يعلم بما يجيبهم به، إذ كان لا يعرف رأيه (الوزير) في أهل الذمة، وأعلمه أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملِّي والذمي***"[١٦٠]، فأُسقط في يد الوزير؛ لأن **سِنان بن ثابت** والأطباء من خلفِه، **لم يتخذوا موقفًا مخالفًا له**، وبيَّن له **سِنان** أن العمل جارٍ في مستشفيات بغداد على **عدم التفريق بين المسلم وغيره في التطبيب**. فكان جواب الوزير: "*فهمت ما كتبت به، أكرمك الله،* ***وليس بيننا خلاف أن معالجة أهل الذمة***

(١٥٨) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين التطيلي**، ص٣٨٨-٣٨٩. (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢).

(١٥٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣٠١/١.

(١٦٠) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١٥١/١.

والبهائم صواب، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمة. فإذا فضُل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صُرِف إلى الطبقة التي بعدهم. فأعمل-أكرمك الله- على ذلك، واكتب إلى أصحابك به، ووصّهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية "(١٦١).

وإجابة الوزير تحتمل أمره الأطباء بالانتقال إلى القرى والمواضع التي فيها أمراضٌ **أكثر من مدينة سورا**، وأن يبدأوا بالمسلمين قبل الذميين. وتحتمل -**وهذا ما نرجِّح عمل الأطباء به**- أنَّ المقصود أن **يبدأوا بعلاج المسلمين أولًا في مدينة سورا ثم اليهود ثم البهائم**. فيكون الوزير أوكل تقدير الأمر للأطباء، **وأذن لهم بعلاج المسلمين وغيرهم حتى البهائم**، شريطة تطبيق معياره في التدرج، ومعلومٌ أن تطبيق هذا الأمر يتعذر واقعيًا عند استقبال المرضى، **وبالتالي استطاع سِنان بن ثابت بذكاء شديد أن يحقق مراده في مداواة غير المسلمين دون تفريق، بل حصل على أبعد من ذلك، وهو علاج البهائم أيضًا.**

وهذه إشراقات إنسانية تجلَّت عند سِنان بن ثابت وأصحابه الأطباء، الذين أوقفوا مسيرهم في التنقل من أجل علاج الناس دون تمييز بينهم، وهو موقف موافق لآراء سِنان الإنسانية المبثوثة في رسالته "**سياسة النفوس**".

---

(١٦١) القِفطي، إخبار العلماء، ١/١٥١.

٣/ ثابت بن سِنان بن ثابت بن قرَّة الحرَّاني.

لا تشير المصادر لتاريخ ميلاده، حاله حال والده، لكن يظهر أنه **وُلد في بغداد** لاستقرار والده وجدِّه فيها. ويمكن تقدير سنة ميلاده بين عاميْ (٢٨٨-٢٩٣هـ)؛ لأن أول إشارة تاريخيه يحكيها عن نفسه، توليه لبيمارستان **ابن الفرات** بدرب المفضل ببغداد عام ٣١٣هـ، وعمره بين العشرين والخامسة والعشرين تقديرًا(١٦٢).

كانت بغداد في أوج إشعاعها العلمي في نهاية القرن الثالث الهجري، ففيها العلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء والمهندسون والفلكيون فضلًا عن أصحاب العلوم الشرعية واللغوية، فكان من الطبيعي تأثر **ثابت بن سِنان** بهم بطريقة مباشرة بالتلقي في حِلق العلم العامة أو الخاصة، والقراءة لهم. وكان من أشهرهم في شبابه: **أبو عثمان الدمشقي** [ت+٣١٠هـ]، و**أبوبكر الرازي** [ت نحو٣٢٠هـ]، **ومتَّى بن يونس** [ت٣٢٨هـ]، **وبختشيوع بن يوحنا** [ت٣٢٩هـ]، و**أبو نصر الفارابي** [ت٣٣٩هـ].

نبغ **ثابت بن سِنان** في صنعة الطب وعلم التاريخ، وأصبح مشاركًا في علوم الفلسفة واللغة والفلك. **في سنٍ مبكرة أصبح رئيسًا لبيمارستان ابن الفرات عام ٣١٣هـ**، والذي كان والده **سِنان** مشرفًا عليه، واستمر في هذا المنصب عدة أعوام؛ لأن والده كان رئيس أطباء بغداد، ولم يكن ضمن الأطباء الذين اختبرهم والده عام ٣١٩هـ؛ لأن الاختبار كان يستثني المتمكنين من صنعة الطب في البيمارستانات والقصور.

لا أدل على مكانة **ثابت بن سِنان** العلمية من اتخاذ الخلفاء والوزراء والأمراء وقادة الجند منه **طبيبًا شخصيًا لهم** منذ توليه رئاسة أوّل مشفى عام ٣١٣هـ، وحتى التحاقه في جملة أطباء الخليفة **الراضي بالله** (٣٢٢-٣٢٩هـ)، **وتعيينه طبيبًا شخصيًا للمتقي الله** (٣٢٩-٣٣٣هـ)،

(١٦٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١/٣١٣-٣١٤.

فالمستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ)، **فالمطيع الله** (٣٣٤-٣٦٣هـ) **وهو أطول الخلفاء صحبة له**، توفِّي بعده بعامين ٣٦٥هـ، **فهو أطول أفراد آل ثابت بن قرَّة صحبة للخلفاء طوال أكثر من نصف قرن**.

نعود لنقول، شهد لبراعة **ثابت بن سِنان** العلمية واتساع معارفه عدد من معاصريه، كما أشاد مؤرخو القرنين السابع والثامن الهجريين بأثره في إثراء الحوليات التاريخية على وجه الخصوص، وعلى مكانته في المعارف الطبية، **وقدرته الفائقة على فهم النصوص الطبية اليونانية المعقدة من كتب بقراط وجالينوس**، ومن جملة ذلك:

١. قال معاصره **أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي** المعروف **بابن جلجل** [ت٣٧٧هـ] في كتابه "**طبقات الأطباء والحكماء**": *"كان في أيام المطيع الله وفي أمارة الأقطع أحمد بن بويه، أدركه الحرَّاني أحمد بن يونس ببغداد وقت رحلته، وقرأ عليه، وأخبرني بذلك،* ***وكان بارعًا في الطب، عالمًا بأصوله، فكاكًا للكتب****"*[١٦٣].

ويُعد هذا النص أول ترجمة **لثابت بن سِنان** في حياته في كتب طبقات الأطباء، وأول ترجمة من عالم أندلسي نقل عنه الأندلسيون من بعده **كصاعد الأندلسي** و**ابن الأبار**[١٦٤].

هذا النص المؤسس يكشف مدى الشهرة التي بلغها **ثابت بن سِنان** في الأندلس مطلع العقد السادس من القرن الرابع الهجري، فالطبيب **أحمد بن يونس الحرَّاني** المذكور رحل مع أخيه **عمر** إلى بغداد لدراسة الطب[١٦٥]، وخصوصًا طب العيون عند **ابن وصيف الصابئ** حتَّى برعا فيه[١٦٦]، ويبدو أنَّ **ابن وصيف** هو من أدخلهما على **ثابت بن سِنان**؛ لأنَّهما مكثا في بغداد عقدين

(١٦٣) ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، ص٨٠.

(١٦٤) صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، تح: لويس شيخو، ص٨٠-٨١ و ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: بشار عواد معروف، ١٤٧/٢.

(١٦٥) ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، ص٣٩٩.

(١٦٦) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ٣١١/١. و ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ٤٢٧/٩.

من الزمن (٣٣٠-٣٥١هـ)، فاختصَّهما لنفسه، وخصص لهما وقتًا لقراءة كتب **جالينوس**.

وعبارة **ابن جلجل** عن **ثابت** "*فكاكًا للكتب*" أي مفسِّرًا لما استغلق من نصوصها بسبب سوء الترجمة أو عدم قلق العبارة. وهذا يؤكد مكانة **ثابت بن سِنان ككبير الأطباء بغداد حينها**، وعبارة **ابن جلجل** تحتمل أنَّ **لثابت** شروح للكتب الطبية، وغالب الظن أنه اكتفى بكتب جدِّه الطبية(١٦٧).

٢. قال معاصره أبو الفرج **محمد بن إسحاق النديم البغدادي** [ت٣٨٤هـ] في كتابه "**الفِهرست**": "*وكان طبيبًا محذقًا .. وتوفي حادي عشر ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاثمائة، وله من الكتب كتاب التاريخ*"(١٦٨).

٣. قال ظهير الدين **علي بن زيد البيهقي** [ت٥٦٥هـ] في كتابه "**تاريخ حكماء الإسلام**": "*أبو الحسن بن سنان الطبيب. كان حكيمًا فاضلًا، وطبيبًا حاذقًا، وصديقًا للحكيم أبي الخير*" ثم ذكر كلمات في الحكمة **لثابت بن سِنان**(١٦٩).

هذه الترجمة في غاية النَّفاسة؛ لأنّها أول ترجمة **لثابت بن سِنان** بوصفه فيلسوفًا، فكتاب **البيهقي** يختص بأخبار الحكماء وهم الفلاسفة، وقد تُطلق على الطبيب.

ولم تشر المصادر التاريخية لوجود كتبٍ **لثابت بن سِنان** في الطب، وإنما أشارت لكتابه "**التاريخ**" الشهير، وبعض الكتب التاريخية المتفرِّعة عنه أو المستقلَّة عنه. وله كتاب في "**تهذيب الأخلاق**" نعمل على نشره قريبًا -بإذن الله- اشتمل على مباحث طبية من منظور أخلاقي فلسفي.

توفي **ثابت بن سِنان** في الحادي عشر من ذي القعدة عام ٣٦٥هـ.

---

(١٦٧) ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، ص١١٢-١١٣.

(١٦٨) النديم، **الفِهرست**، ٣٦٤/١.

(١٦٩) البيهقي، **تاريخ حكماء الإسلام: تتمة كتاب صِوان الحكمة للسجستاني**، تح: ممدوح حسن محمد، ص٧٨.

المبحث الثاني: مؤلَّفات طبية غير منشورة لثابت بن قرَّة.

ترك **ثابت بن قرَّة** أزيد من خمسين كتابًا طبيًا كما أشرنا في المبحث الأول، وصل منها نحو سبعة عشر كتابًا[١٧٠]، المنشور منها كتابان، هما: "**الذخيرة في الطب**" و "**البصروالبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها**".

وتفصيلًا، ترك **ثابت بن قرَّة** ثلاثة عشر كتابًا من كتب "**الجوامع**"، والجوامع هي مختصرات للكتب، **لا تلتزم بترتيب الكتاب المختصر، ولا بعبارة المؤلِّف مع الحرص عليها، وتضيف عليها تعليقًا عند الاقتضاء**، وقد تكون على شكل سؤال وجواب، والأشهر أنها تكون مرسلة[١٧١]. ونمط التأليف بها ظهر في **مدرسة الإسكندرية** بين القرنين السادس والسابع الميلاديين لكتب **جالينوس** الطبية عبر العديد من أطباء المدرسة **لأغراض تعليمية**[١٧٢]، ثم انتقلت للعرب عبر الترجمة، وحاكاها أطباء بغداد **كحُنين بن إسحاق، وثابت بن قرَّة** وغيرهما، ثم شاعت في غير الكتب الطبية[١٧٣].

اختص **ثابت بن قرَّة** في إعداد جوامع لكتب **جالينوس** الطبية التي لم يُعد لها الإسكندرانيون جوامعًا، فأعدَّ ثلاثة عشر جامعًا تختلف عن جوامعهم الستة عشر، وصل لنا منها ثمانية عناوين، هي:

---

(١٧٠) تحتاج هذه القائمة التي نستند فيها على **بروكلمان** و**سزكين** إلى فحصٍ دقيقٍ ومعاينة لنُسَخِها الخطية، فيُشار -على سبيل المثال- إلى وجود نسخة خطية من كتاب "**الروضة في الطب**" وهو عنوان لا يذكره المتقدمون في ثبت كتب **ثابت بن قرَّة**، وقد يكون نسخة من "**الذخيرة**". ويشيرون كذلك لكتاب "**الكنَّاش**" الذي ألفه **للمعتضد** في مئتي ورقة، وهذا يدعو للريبة. انظر: علي الشطشاط، **الطبيب ثابت بن قرَّة**، ص١٥٥-١٥٦.

(١٧١) القِفطي، **إخبار العلماء**، ١/ ٦٠.

(١٧٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ١٥١/١.

(١٧٣) نُعد بحثًا تفصيليًا عن "**كتب الجوامع في الحضارة العربية**"، ونحرر فيه الفرق بينها وبين كتب المختصرات، والغرض من تأليفها، وأشهر من أبدع نسجها، كتب الطب والفلسفة وغيرها.

١) **جوامع كتاب جالينوس في الأدوية المنقّية.**

٢) **جوامع كتاب جالينوس في المِرَّة السوداء.**

٣) **جوامع كتاب جالينوس في سوء المزاج المختلف.**

٤) **جوامع كتاب جالينوس في الذبول.**

٥) **جوامع كتاب جالينوس في تدبير الأمراض الحادة على رأي بقراط.**

٦) **جوامع كتاب جالينوس في الكثرة.**

٧) **جوامع كتاب جالينوس في تشريح الرحم.**

٨) **جوامع كتاب جالينوس في أصناف الأمراض.**

أما اختصاراته الطبية لكتب **جالينوس**، فبلغت تسعة كتب، وصل لنا منها كتاب "**مختصر كتاب في المولودين لسبعة أشهر لجالينوس**".

وقد تيسر لنا الوقوف على نسخة خطية لهذه المؤلفات التسعة في مكتبة آيا صوفيا، وهي نسخة غير مؤرخة، واضحة الخط، نعمل على نشرها قريبًا -بإذن الله-(١٧٤).

نستعرض في هذا المبحث هذه الجوامع والمختصر الطبي **لثابت بن قرَّة**، ونبرز آراءه ومنهجه واختياراته.

(١٧٤) تيسَّر لنا الوقوف على هذه النسخة الفريدة أثناء تفرُّغنا لدراسة وتحقيق رسالة "**سياسة النفوس**" **لسِنان بن ثابت بن قرَّة**، ضمن منحة زمالة ما بعد الدكتوراه بكرسي قنواتي بمعهد الدومنيكان للدراسات الشرقية، كما وقفنا على نفائس مخطوطة أخرى **لثابت بن قرَّة** و**قسطا بن لوقا** و**يوحنا بن البطريق** لم يسبق نشرها. فلهم كل الامتنان والتقدير.

الكتاب الأول: جُمل مقالة جالينوس في الأدوية المنقِّية.

هكذا ورد في المخطوط، ويرِد عند **القِفطي** بعنوان: "**جوامع كتاب جالينوس في الأدوية المنقية**"[١٧٥]، وهو الصحيح.

يتناول **جالينوس** في هذا الكتاب طبيعة الأدوية المنقية، وهي الأدوية التي تُستخدم لتفريغ الأخلاط المختلفة من الجسم، مثل المِرَّة الصفراء، والبلغم، والمِرَّة السوداء، والرطوبات المائية. ويستعرض الكتاب النظريات المختلفة حول كيفية تأثير هذه الأدوية، وهل تجذب نوعًا معينًا من الأخلاط أم أنها تعمل على جميع الأخلاط بطريقة غير منظمة؟

١. تصنيف الأدوية المنقِّية.

يبدأ **ثابت بن قرَّة**، في تلخيصه لرأي **جالينوس**، بتصنيف الأدوية المنقِّية وفقًا لنوع الخلط الذي تزيله:

أ) أدوية تسهّل المِرَّة الصفراء (حارة يابسة).
ب) أدوية تسهّل البلغم (باردة رطبة).
ج) أدوية تسهّل المِرَّة السوداء (يابسة باردة).
د) أدوية تسهّل الرطوبات المائية (الماء الفائض في الجسم).
هـ) أدوية تسهّل عدة أخلاط معًا دون تمييز.

يقول ثابت بن قرَّة:

"لما كانَتِ الأدويةُ التي تُسمَّى: المنقِّية تُسَهِّلُ أخلاطًا مختلفةً، فمنها: ما يُسَهِّلُ المِرَّةَ الصَّفراءَ، ومنها: ما يُسَهِّلُ البلغَمَ، ومنها: ما يُسَهِّلُ المِرَّةَ السَّوداءَ، ومنها: ما يُسَهِّلُ الماءَ والرُّطوباتِ الرَّقيقةَ، ومنها: ما يُسَهِّلُ أخلاطًا مختلِفةً" (٢٨/أ).

(١٧٥) القِفطي، إخبار العلماء، ٥٩/١.

٢. النظريات الطبية حول كيفية عمل الأدوية المنقِّية.

يذكر **ثابت** أن هناك ثلاث نظريات رئيسة، حول طريقة تأثير الأدوية المنقِّية في الجسم:

أ) النظرية الجاذبة (رأي أبقراط وجالينوس و أتباعهم).

يرى **أبقراط وجالينوس** أن كل دواء له قوة جذب خاصة بنوع معين من الأخلاط، أي أن الدواء لا يعمل بشكل عشوائي، بل "*يجتذب*" الخلط الذي يشابهه، فإذا كان الدواء مخصصًا للمِرَّة الصفراء، فإنه يجذبها أولًا ويخرجها، وإذا كان مخصصًا للبلغم، فإنه يجذبه دون التأثير على الأخلاط الأخرى.

ويؤكد ثابت صحة هذه النظرية بقوله:

"والرأيُ الأولُ منَ الآراءِ الثلاثَةِ -التِي ذَكَرْنَا- الرَأيُ الصوابُ، وهو رأيُ أبُقْرَاطَ وَسَائِرِ آلَ أسْقَلَنْيُوسَ" (٢٨/ب).

ب) النظرية غير المنظمة (رفضها جالينوس واعتنقها بعض الأطباء المتأخرين).

ترى هذه النظرية أن الأدوية لا تجذب نوعًا معينًا من الأخلاط، وإنما تستفرغ كل ما تجده في البدن، بحيث يخرج الأخف أولًا (الرطوبات)، ثم الأثقل حتى يصل إلى المِرَّة السوداء، أي أن تأثير الدواء لا يتحدد بقوته الجاذبة، بل فقط بدرجة لزوجة الخلط وقوامه، وهذه النظرية تتناقض مع فكرة أن لكل دواء تأثيرًا محددًا على نوع معين من الأخلاط.

يرفض ثابت هذه النظرية بقوله:

"وقالَ قومٌ آخرونَ: إنَّهُ ليَسَ في الأدْويةِ قُوةٌ جاذِبةٌ للأخلاطِ، لا لكلِ واحدٍ منها بانفرادِهِ، ولا لجُملتِها؛ لكنْ من شأنِ الأدويةِ المسَهِّلةِ أن تُحيلَ الأخْلاطَ التي في العرُوقِ فتُغيِّرُها بأجمَعِها" (٢٨/ب).

ج) نظرية التحويل للأخلاط (نسبها جالينوس إلى أرسطو ومدرسته ورفضها).

تقول هذه النظرية إن الأدوية المسهِّلة لا تسحب الأخلاط كما هي، بل تحول الأخلاط إلى شكل جديد ثم تخرجها من الجسم، بمعنى أن الدواء يحول الدم إلى مِرَّة صفراء ثم يخرجها، أو يحول البلغم إلى مِرَّة سوداء ثم يخرجها، وهذه النظرية اعتنقها **أرسطو** وبعض أتباعه الذين لم يقبلوا بوجود "قوة جاذبة" في الطبيعة.

يرد ثابت على هذا الرأي بقوله:

"وأبعدُهُما منِ الحَقِ هو الرَأيُ الأخِيرُ، الثَالثُ وهو رَأي أَرِسْسَطَرَاطِسَ وَإِسْفَلَيْنيادِسَ" (٢٩/أ).

٣. التطبيقات العملية للأدوية المنقِّية.

يشرح **ثابت بن قرَّة** كيف يمكن للطبيب استخدام هذه النظريات في العلاج:

إذا كان هناك مريض يعاني من زيادة في المِرَّة الصفراء (مثل حالات اليرقان)، فيجب إعطاؤه دواءً يجذب المِرَّة الصفراء تحديدًا، أما إذا أُعطي دواءً خاطئًا، مثل دواء يسهل البلغم بدلًا من المِرَّة الصفراء، فلن يشفى المريض.

يقول ثابت بن قرَّة:

"ولو أنَّ الأمرَ على ما قالُوا؛ لَمَا كَانَ يَظْهَرُ بِالْمِحْنَةِ على ما يظهرُ من ذلك أنَّا نجِدُ من به اليَرَقَانُ، فبدنُهُ مملوءٌ مِرَّةً صفراءَ، إذا لم يكنْ بهِ حُمَّى وبَعُدَ مِنّا فَغَذَونا بَدَنَهُ أيَّامًا بمَا ينْبغِي ثم نَسقِيهِ شَرْبةً واحدةً منَ الأَدْوِيَةِ الَّتي تُسَهِّلُ من المِرَّةِ الصفراءِ؛ فيَبْرَأُ" (٢٩/ب).

الكتاب الثاني: جوامع كتاب جالينوس في المِرَّة السوداء.

١. تعريف المِرَّة السوداء وخصائصها.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** حديثه بتوضيح ماهية المِرَّة السوداء، حيث يشير إلى أنها أحد الأخلاط الأربعة التي يعتمد عليها الطب اليوناني، وتتميز بكونها باردة يابسة، ولها تأثير كبير في تنظيم وظائف الجسم. ويؤكد أن فهم طبيعتها يساعد في تشخيص وعلاج الأمراض المرتبطة بها.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إنَّ أَولَ مَا يَنْبغِي أنْ يُعْلمَ مِن أمرِ المِرَّة السَّوداءِ فرْقُ مَا بَينهَا وبَينَ غَيرِها منِ الأخْلاطِ، ثمَّ يَتْلُو ذَلِك مَا يَنْبغِي أنْ يُعلَمَ منْ أمْرِ الاختِلافِ الذِي فِيمَا بَينَ أصْنافِها" (٣١/أ).

كما يوضح الفرق بين المِرَّة السوداء وغيرها من الأخلاط، مشيرًا إلى أنها ليست دائمًا مؤذية، ولكن زيادتها أو تحولها إلى شكل غير طبيعي هو ما يسبب الأمراض.

"الأخْلاطَ السُودَ ليسَ يَكُونُ فِيهَا عُفُوصَةٌ ظَاهِرةٌ بَيّنَةٌ ولا حُمُوضَةٌ عَلَى هذِه الصِّفَةِ" (٣١/ب).

٢. أنواع المِرَّة السوداء وأصنافها.

يُصنف **ثابت بن قرَّة** المِرَّة السوداء إلى عدة أنواع بناءً على طبيعة تكونها وتأثيرها على الجسم:

أ) **المِرَّة السوداء الطبيعية**: وهي التي تتكون بشكل طبيعي في الجسم، وتؤدي دورًا في تحقيق التوازن بين الأخلاط الأخرى.

ب) **المِرَّة السوداء المرضية**: التي تنشأ عن اضطرابات في الجسم، وتؤدي إلى أعراض وأمراض خطيرة.

ج) **المِرَّة السوداء المتولدة عن الاحتراق**: وهي التي تنتج عن تعرض الجسم للحميات الشديدة أو الجفاف المفرط.

د) **المِرَّة السوداء المختلطة**: وهي التي تتفاعل مع أخلاط أخرى مما يجعل تأثيرها أكثر ضررًا.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وكَذلكَ يعرِضُ في الطَّاعُونِ الَّذِي حدَثَ في أيامِنَا في الصَّيفِ وأنَّ كثِيرًا ممَّن نَجَا منْهُ عَرَضَ له إسهالُ الخَلْطِ الأَسْودِ" (٣٢/أ).

٣. أسباب زيادة المِرَّة السوداء في الجسم.

يوضح **ثابت بن قرَّة** أنَّ هناك عدة أسباب تؤدي إلى زيادة المِرَّة السوداء، ومنها:

أ) تناول الأطعمة الجافة مثل العدس واللحوم الجافة.

ب) التعرض للحرارة الشديدة والجفاف المفرط.

ج) الأمراض المزمنة مثل الحمى المحرقة.

٤. طرق علاج زيادة المِرَّة السوداء.

ينصح **ثابت بن قرَّة** بعدة طرق لتخفيف المِرَّة السوداء وعلاج الأمراض الناتجة عنها، ومنها:

أ) تناول الأطعمة المرطبة مثل الفواكه والخضروات.

ب) استخدام الأدوية المنقِّية التي تستهدف المِرَّة السوداء تحديدًا.

ج) الاستحمام بالماء الدافئ لتخفيف تأثيراتها على الجلد.

د) الفصد والحجامة لتخليص الدم من الكميات الزائدة منها.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَلْنَذْكُرِ الآنَ الأسْبَابَ المُوَلِّدَةَ لِذلكَ ممّا عَرَفَناهُ بالتَّجْربةِ فنَقُولُ: إنَّا نَرَى اللَّذِينَ مِزَاجَهم حَارٌّ يَابسٌ إذا افْتَصَدوا؛ تَكونُ دِماؤُهُم مائِلةً إلى الغِلَظِ والسَّوادِ" (٣٢/أ).

وغرض **ثابت بن قرَّة** من جوامعه لفكر **جالينوس** أن المِرَّة السوداء ليست دائمًا ضارة، لكنها عند زيادتها تسبب أمراضًا جسدية ونفسية، مما يستدعي ضبطها بالعلاجات المناسبة.

الكتاب الثالث: جوامع كتاب جالينوس في سوء المزاج المختلف.

١. تعريف سوء المزاج وخصائصه.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** بتعريف سوء المزاج بأنه تغيير في طبيعة الجسم بسبب خلل في الأخلاط، وقد يكون هذا الخلل شاملًا للجسم أو محصورًا في أحد الأعضاء.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إذَا تَغيَّرَ المِزاجُ عن الاعْتدَالِ في جميعِ البَدَنِ أو في عُضْوٍ من أعْضَائِه، ولم يَكنْ ذلكَ التغْييرُ مسْتويًا في جَميعِ أجْزاءِ البَدنِ، أو في جميعِ أجْزاءِ ذلِك العُضْو الذِي عَرضَ فِيه سُوءُ المِزاجِ حتَى يَكونَ مِزاجُه مِزاجًا واحِدًا يُمْكنُ أنْ يَكونَ فيمَا بين مِزاجِ أجْزَائِهِ اختلافٌ ظَاهرٌ فإنَّ ذلكَ يُقالُ لهَ: سُوءُ المِزاجِ المُختلِفِ" (٣٤/أ).

ثم يميز بين **نوعين رئيسيين** من سوء المزاج:

أ) **سوء المزاج المصحوب بمادة مرضية**: وهو ما يحدث بسبب تراكم مادة غير طبيعية في الجسم، مثل الأورام والالتهابات.

ب) **سوء المزاج غير المصحوب بمادة مرضية**: وهو سوء المزاج الذي ينتج عن خلل في وظيفة العضو دون وجود تراكم لمادة معينة، مثل تغيرات الحرارة أو الرطوبة.

٢. تصنيف سوء المزاج وفقًا للأعضاء المصابة.

يشرح **ثابت بن قرَّة** أن سوء المزاج قد يصيب الجسم كله أو بعض أعضائه، وهو يُقسَّم إلى:

أ) **سوء المزاج العام (يصيب الجسم بالكامل).**

يحدث بسبب تغييرات شاملة في الجسم، مثل الحميات، والاستسقاء، ونقصان الوزن المفاجئ.

يقول ثابت بن قرَّة:

"أمَّا مَا يَعرضُ منْه في جَميعِ البَدنِ مثلُ: الاسْتسْقاءِ الذي يُقالُ له: اللَّحْميُ، ومثلُ الحُمَّى التي يُقالُ لهَا باليُونَانِيةِ: أُسَالِسُ وهِي التي يَعْرضُ فيها الحَرُّ والبَردُ دَائِمَينِ معًا" (٣٤/أ).

ب) سوء المزاج الموضعي (يصيب عضوًا محددًا).

إذا أصاب الدماغ: يؤدي إلى اضطرابات نفسية مثل الجنون والاكتئاب والتوهمات، وإذا أصاب المعدة: يسبب مشاكل في الهضم مثل القيء، الغثيان، وفقدان الشهية، وإذا أصاب العضلات والمفاصل: يسبب تورمًا وآلامًا.

٣. تأثيرات سوء المزاج على الصحة.

يصف **ثابت بن قرَّة** كيف أن سوء المزاج يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات جسدية ونفسية بناءً على نوع الخلط المتأثر:

أ) سوء المزاج الدموي:

يؤدي إلى احمرار الجلد، وحرارة زائدة، وصداع؛ ويحدث غالبًا بسبب زيادة الدم الساخن والرطب في الجسم.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إذا انْصبَّ إلى عضَلةِ فَضَلَ حَادّ؛ فإنَّ أولَ شيءٍ يَمْتلئُ ويتمدَّدُ من أجزَائِها هو العُروقُ الضَوارِبُ وغيرُ الضَوارِبِ" (٣٥/أ).

ب) سوء المزاج البلغمي:

يسبب خمولًا، برودة في الأطراف، وزيادة في إفرازات الجسم؛ ويحدث بسبب زيادة البلغم البارد الرطب.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إذا غَاصَ ذلكَ الفَضْلُ في تِلك العُروقِ ولمْ يضْبطْهُ؛ بَدَرَ منه شيءٌ من أفْواهِ تِلكَ العُروقِ، ورَشحَ منه شيءٌ من نفْسِ جِرمِها؛ فامْتَلتْ تلك الفُرجُ" (٣٥/ب).

ج) سوء المزاج الصفراوي:

يؤدي إلى حمى، وعطش شديد، واصفرار الجلد والعينين؛ وينتج عن زيادة المِرَّة الصفراء الحارة الجافة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إذا تَولدَتْ الحُمّياتُ مِن مِثلِ هَذِه الأشْيَاءِ التِي ذَكَرْنَا؛ فَإِنَّ الدَّمَ عِندَ ذَلكَ يَكُونُ قَدْ غَلبَتْ عَلَيهِ السُّخُونةُ التِي حَدثَتْ عَنْ العُفُونَةِ واسْتَحكَمَتْ" (٣٦/أ).

د) سوء المزاج السوداوي:

يؤدي إلى اكتئاب، وقلق، والهلاوس، وينتج عن زيادة المِرَّة السوداء الباردة الجافة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا تَرَاكَمَت المِرَّةُ السَّوْدَاءُ فِي الدِّمَاغِ، فَإِنَّهَا قَدْ تُؤَدِّي إِلَى حَالَاتٍ مِن الجُنُونِ أَو الهَلَاوِسِ البَصَرِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّة" (٣٧/أ).

٤. طرق علاج سوء المزاج.

يقدم **ثابت بن قرَّة** مجموعة من الإرشادات العلاجية التي تساعد في إعادة التوازن للأخلاط، وهي:

أ) تنظيم النظام الغذائي.

وذلك بتقليل الأطعمة الثقيلة لمنع تراكم الأخلاط الفاسدة، والإكثار من تناول الأطعمة

المرطبة والخفيفة للأشخاص الذين يعانون من المزاج الحار أو الجاف.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فالأطعِمةُ الغلِيظةُ اليابِسةُ مثلُ: العَدَسِ، والصَّدفِ، ولحْمِ البقَرِ، ولحْمِ التُّيوسِ تزيدُ من سوء المزاج" (٣٢/أ).

ب) استخدام الأدوية المناسبة.

المسهِّلات والمقيِّئات: تستخدم لتنظيف الجسم من الأخلاط الزائدة، والمراهم والحمامات العلاجية: تستخدم لعلاج سوءِ المزاجِ الموضعي في العضلات والمفاصل.

يقول ثابت بن قرَّة:

"أَقْوَى العِلَاجَاتِ لِدَفْعِ سُوءِ الْمِزَاجِ هُوَ الِاستِحْمَامُ بَعْدَ أَن يَكُونَ اسْتِعمَالُهُ بِثِقَةٍ" (٤٢/أ).

ويمكن إيجاز جوامع **ثابت بن قرَّة** لفكر **جالينوس** أنَّ سوء المزاج ليس مجرد تغير عابر في الحالة الجسدية أو النفسية، بل هو اضطراب في التوازن الداخلي للجسم قد يؤدي إلى أمراض خطيرة. ويؤكد أن العلاج يتطلب تنظيم الغذاء، واستخدام الأدوية المناسبة؛ لاستعادة التوازن الصحي.

الكتاب الرابع: جوامع كتاب جالينوس في الذبول.

يتناول الكتاب قضية الذبول كحالة مرضية تصيب الأجسام الحية نتيجة اليُبس أو الجفاف. يجمع **ثابت بن قرَّة** في هذا التلخيص أفكار **جالينوس** حول أسباب الذبول، وأنواعه، وتأثيره على أعضاء الجسم المختلفة، وطرق علاجه.

يُصنَّف الذبول إلى نوعين رئيسيين: **الذبول البسيط**: ويحدث بسبب فقدان الرطوبة فقط. **والذبول المركب**: ويحدث نتيجة فقدان الرطوبة مع تأثيرات إضافية مثل الحرارة أو البرودة المفرطة.

١. تعريف الذبول وخصائصه.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** بتحديد الذبول على أنه حالة مرضية تتمثل في فقدان الجسم لرطوبته الطبيعية، مما يؤدي إلى تغيرات في وظائفه الحيوية.

يقول ثابت بن قرَّة:

"الذُّبُولُ هُوَ فَسَادُ جِسْمٍ مِن الأَجْسَامِ التِي لَهَا حَيَاةٌ، وَتَعَرَّضَ لَهُ بِسَبَبِ اليُبْسِ، وَهُوَ يُقَالُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا: مَا هُوَ مِنهُ بَعْدُ فِي الكَوْنِ، وَالآخَرُ مَا قَدْ كَانَ وَفَرَغَ" (٣٩/أ).

ويؤكد أنَّ جميع الكائنات الحية مُعرضة للذبول، سواءً كان ذلك بشكل طبيعي مع التقدم في العمر، أو نتيجةً لعوامل مرضيَّة تؤثر على التوازن الطبيعي للأخلاط.

٢. أنواع الذبول وأسبابه.

يُقسِّم **ثابت بن قرَّة** الذبول إلى نوعين رئيسيين:

أ) الذبول البسيط.

يحدث عند فُقدان الرطوبة دون تأثيرات أخرى، مثل الامتناع عن الطعام لفترات طويلة. ويصيب المسنِّين والمرضى الذين يعانون من سوء التغذية.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَالذُّبُولُ البَسِيطُ يُتَوَهَّمُ أنَّهُ يَحدُثُ بِسَبَبِ الامتِنَاعِ مِن الأَغذِيَةِ بِإِفرَاطٍ، إمَّا فِيمَنْ يَضْبِطُ نَفسَهُ عَن ذَلِكَ، وَإِمَّا فِيمَنْ لَا يَجِدُ مَا يَغْتَذِي بِهِ" (٣٩/أ).

ب) الذبول المركَّب.

يحدث عندما يتزامن فقدان الرطوبة مع عوامل أخرى مثل الحرارة الزائدة أو البرودة المفرطة. ويصيب الأشخاص الذين يتعرضون للإرهاق المستمر، الأمراض المحرقة، أو الحميات المزمنة. ويرتبط ببعض الحميات التي تؤدي إلى فقدان سريع للسوائل في الجسم.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَأَمَّا الْحَادِثُ عَنْ الحَرَارَةِ فَيَعرِضُ مِن بَعضِ الحُمِّيَاتِ التِي تُعرَفُ: بِحُمِّيَاتِ الدَّقِّ وَالذُّبُولِ" (٣٩/أ).

٣. الذبول والشيخوخة.

يرى **جالينوس**، كما ينقل عنه **ثابت بن قرَّة**، أن الشيخوخة ترتبط بالذبول بشكل طبيعي، حيث يفقد الجسم قدرته على الاحتفاظ بالرطوبة مع التقدم في العمر.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَإِنَّا نَجِدُ الشَّيخُوخَةَ تَعرِضُ لِجَمِيعِهَا بِسَبَبِ اليُبْسِ" (٤٠/أ).

ويضيف أن الأعضاء الأساسية مثل القلب والكبد تفقد رطوبتها تدريجيًا، مما يؤدي إلى ضعف وظائفها الحيوية.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فمتَى وجدَنَا جَميعَ الأسبَابِ التي يعرِضُ منها للقلْبِ اليُبسُ علمْنَا هلْ جميعُ من يعرِضُ له الذُّبولُ لا بُروءَ له منه، أمْ قد يمْكنْ أنْ يبرأَ منه بعضُ من يعرِضُ له ذلك" (٣٩/ب).

ويشير إلى أن هناك فرقًا بين الذبول الطبيعي الذي يحدث بسبب التقدم في السن، والذبول المرضي الناتج عن سوء التغذية.

٤. تأثير الذبول على أعضاء الجسم.

يؤكد **ثابت بن قرَّة** أن الذبول يؤثر على أعضاء الجسم بطرق مختلفة، وقد يؤدي إلى اضطرابات خطيرة في الحالات الشديدة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إذا اعتَلَّ المَبْدَأُ الذِي يَكُونُ بِهِ حَيَاتُهُ فَيَجِبُ ضَرُورةً أَنْ يَكُونَ جُرْمُ القَلبِ نَفسُهُ يَجِفُّ فيمَنْ يَعرِضُ في بدَنِه الذُّبولُ" (٣٩/أ).

كما يؤدي إلى جفاف الجلد، وفقدان مرونته.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فمتَى جَفَّ الجِلدُ وصَارَ خَشِنًا، دَلَّ ذَلكَ عَلَى انْحِسَارِ الرُّطُوبَةِ مِن الجِسْمِ" (٤٠/ب).

٥. طرق علاج الذبول.

يقدَّم **ثابت بن قرَّة** مجموعةً من النصائح لعلاج الذبول واستعادة التوازن الطبيعي للرطوبة في الجسم، وهي تناول الأطعمة الغنية بالرطوبة، والاستحمام بالماء الدافئ، وتناول المشروبات المغذية.

يقول ثابت بن قرَّة:

"الحَمَّامُ يُرطِّبُ جَمِيعَ هَؤُلاءِ وَيُسكِنُ عَطَشَهُم، وَقَد يَجِدُ الحَمَّامَ أَيضًا يُرَطِّبُ ويُقَوّي سَائِرَ مَنْ جَفَّ بَدَنُهُ" (٤٢/أ).

الكتاب الخامس: جوامع كتاب جالينوس في تدبير الأمراض الحادة على رأي بقراط.

يُقدِّم **ثابت بن قرَّة** تلخيصًا حول كيفية تنظيم الغذاء والعلاج، وتدبير الحمى، وتوقيت استخدام الأدوية في علاج الأمراض الحادة، مثل: الحُميَّات الشديدة والالتهابات.

١. تعريف الأمراض الحادة.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** بتحديد مفهوم الأمراض الحادة بأنها الأمراض التي تظهر فجأة وتتطور بسرعة، وقد تؤدي إلى الوفاة إذا لم تُعالج بطريقة صحيحة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إنَّ جَميعَ الأَمْرَاضِ الحادَّةِ تَحْتَاجُ في أَمرِ الغِذَاءِ على رَأْيِ بُقْرَاطَ إلى التَّدْبِيرِ اللَّطِيفِ، وكما أنَّ بَعْضَ الأَمْرَاضِ الحادَّةَ في غَايَةِ الحِدَّةِ، وبَعْضُهَا قَليلَةُ الحِدَّةِ، وبَعْضُهَا في مَراتِبَ مُتَوَسِّطَةٍ، كَذلِك أَيْضًا التَّدْبِيرُ اللَّطِيفُ، مِنْهُ ما هُوَ في غَايَةِ اللَّطَافَةِ، ومِنْهُ ما هُوَ قَليلُ اللَّطَافَةِ" (٤٦/أ).

٢. تصنيف الأمراض الحادة وفق حدتها ومدتها.

يُقسِّم **ثابت بن قرَّة** الأمراض الحادة إلى فئات، بناءً على مدى شدتها وطول مدتها:

أ) الأمراض الحادة جدًا.

وهي كالحمى المحرقة، تتطلب تدبيرًا دقيقًا جدًا، ومنع أي طعام صلب عن المريض حتى تتحسن حالته.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَمَا كَانَ مِن الأَمْرَاضِ حَادًّا جِدًّا وهوَ الذِي لا يَتَجَاوَزُ بَحرانُهُ اليَومَ الخَامِسَ، وكانَتْ قُوَّةُ العَلِيلِ فِيهِ مُحْتَمَلَةً، ولَم يَعرِضْ لَهَا عَارِضٌ يَهْدِمُهَا، فَيَنْبَغِي أن يُدَبَّرَ بأَلْطَفِ التَّدْبِيرِ، وهُوَ أَنْ لَا

يُعْطَى العَلِيلُ شَيءٌ غَيْرُ المَاءِ مُنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ إِلى وَقْتِ البُحرانِ" (٤٦/أ).

ب) الأمراض الحادة المتوسطة.

تشمل الحُميَّات التي تستمر بين (٧-١٤) يومًا، وفي هذه الحالات، يُمكن إعطاء ماء العسل في أول المرض، ولكن بكميات قليلة جدًا. ويتم تقليل الغذاء تدريجيًا كلما اقترب موعد البُحران (وهو المصطلح الذي يشير إلى لحظة تحول المرض نحو التحسن أو التدهور).

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَما كانَ مِنَ الأَمْرَاضِ تَجَاوَزَ الوَقتَ الذي ذَكَرْنَاهُ فيَبلُغُ وَقْتُ بُحرانِهِ اليومَ السابِعَ، إنْ كانَتِ القُوَّةُ مُحْتَمَلَةً، لم يُعْطَ في أَوَّلِ يَومٍ إلا ماءَ العَسَلِ أَوِ السَّكَنْجَبِينِ، أيُّ هَذَينِ كانَ أَوْفَقَ" (٤٦/ب).

ج) الأمراض الممتدة (أكثر من ١٤ يومًا).

تشمل الأمراض التي تتطلب وقتًا أطول للشفاء، فيُعطى ماء الشعير بشكل تدريجي لضمان عدم تفريغ العروق من الغذاء المهم.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَإِنْ كانَ البُحرانُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى اليومِ الرَّابِعِ عَشَرَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْطَى مِنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ ماءَ الشَّعِيرِ أَوِ الشَّعِيرِ بِثِقَلِهِ، في كُلِّ يَومٍ شَيئًا يَسِيرًا في الأَوْقاتِ التي شَرَطْنَا فيما تَقَدَّمَ" (٤٧/أ).

٣. القواعد الأساسية في تدبير الأمراض الحادة.

يحدد **ثابت بن قرَّة** تسع قواعد رئيسية لتدبير الأمراض الحادة، وهي:

أ) النظر في شدة المرض، فكلما زادت حدته، كان التدبير أكثر دقة.

ب) مراقبة قوة المريض، فالقوة الجسدية تحدد مدى تحمله للعلاج.

ج) تقييم مدة المرض، فالأمراض الطويلة تحتاج إلى تدبير مختلف عن الأمراض القصيرة.

د) التحكم في الغذاء، حيث يجب ضبط كمية الطعام وعدم الإفراط في تغذية المريض.

هـ) تجنب إعطاء الطعام عند بداية الحمى.

و) عدم تقديم الغذاء قبل البحران، لأن ذلك قد يؤدي إلى انتكاسة.

ز) تقديم الطعام فقط عند الضرورة القصوى، إذا كان المريض يعاني من ضعف شديد.

ح) تدريج تناول الغذاء، بحيث يكون خفيفًا وسهل الهضم في البداية.

ط) متابعة الحالة بعد الشفاء، لمنع عودة المرض مجددًا.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَهَذِه التِّسْعُ وَصَايَا التي تَعُمُّ ما جَرَى ذِكْرُهُ في هَذَا الكِتابِ مِنْ تَدْبِيرِ الأَمْرَاضِ الحادَّةِ" (٤٨/أ).

الكتاب السادس: جوامع كتاب جالينوس في الكثرة.

يتناول الكتاب مسألة زيادة الأخلاط أو المواد في الجسم وتأثيرها على الصحة (الكثرة). ويعرض **ثابت بن قرَّة** تلخيصًا شاملًا لآراء **جالينوس** في هذا المجال، موضحًا أنواع الكثرة، وأسبابها، وتأثيرها على الأعضاء، وطرق علاجها.

١. تعريف الكثرة و أنواعها.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** بتوضيح مفهوم الكثرة، مؤكدًا أنها زيادة في المواد داخل الجسم، سواء كانت سوائل أو مواد صلبة. ويقسم الكثرة إلى نوعين رئيسيين، هما:

"**أحدُهُما** الكائِنُ بقياسِ القوةِ إذا كانتْ لا تحتمِلُه من غيرِ أذى، **والآخَرُ** الكائِنُ بحسَبِ الأوعِيةِ إذا ملأَها ومدَّدَها بمنزلَةِ الزُقاقِ التي تملأُ بأكثَرَ من المِقْدارِ الذي ينبغِي" (٤٨/أ).

أ) الكثرة النسبية.

تحدث عندما يكون هناك توازن بين كمية المادة في الجسم وقوته، أي أن الجسم قادر على التعامل مع الزيادة دون ضرر.

ب) الكثرة المطلقة (الضارة).

تحدث عندما تتجاوز كمية المادة قدرة الجسم على التعامل معها، مما يؤدي إلى أمراض واضطرابات.

٢. أسباب الكثرة في الجسم.

يُشير **ثابت بن قرَّة** إلى أن هناك عدة أسباب تؤدي إلى الكثرة، أهمها:

أ) الإفراط في الطعام والشراب.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَالدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أنَّا نَجِدُ مَن تَنَاوَلَ طَعَامًا أكثَرَ مِنَ المِقْدَارِ الذِي يَحتَاجُ إِلَيهِ يَتَمَدَّدُ لِذَلِكَ بَطْنُهُ" (٤٨/ب).

ب) ضعف إخراج المواد الزائدة.

٣. تأثير الكثرة على أعضاء الجسم.

يشرح **ثابت بن قرَّة** كيف أنَّ زيادة المواد في الجسم تؤثر بشكل مختلف على الأعضاء.

أ) الكثرة في الدم:

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا غَلَبَ الدَّمُ فِي الجِسْمِ وَلَم يُصرَفْ، فإِنَّ ذَلِكَ يُحْدِثُ أَوجَاعًا فِي الرَّأسِ وَامتِلَاءً فِي العُرُوقِ" (٤٩/أ).

ب) الكثرة في البلغم:

يقول ثابت بن قرَّة:

"مَن ازْدَادَ البَلغَمُ فِي جَسَدِهِ، أَحَسَّ بثُقلٍ فِي الأَعْضَاءِ وَضَعْفِ الحَرَارَةِ الغَرِيزِيَّةِ" (٤٩/ب).

ج) الكثرة في المِرَّة الصفراء:

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا زَادَتِ المِرَّةُ الصَّفْرَاءُ، اشْتَدَّ الهَيَجَانُ فِي النَّفْسِ وَالجَسَدِ، وَظَهَرَتْ الحُمَّى المُحْرِقَةُ" (٥٠/أ).

٤. طرق علاج الكثرة والتخلص منها.

يُقدِّم **ثابت بن قرَّة** حلولًا للتخلص من الكثرة، قبل أن تتحول إلى مرض، ومنها: الإكثار من الأطعمة المفيدة، واستخدام المسهّلات.

الكتاب السابع: جوامع كتاب جالينوس في تشريح الرحم.

١. تشريح الرحم ووظائفه.

يبدأ **ثابت بن قرَّة** بتوضيح بنية الرَّحم، وفقًا للوصف الذي قدمه **جالينوس**، مشيرًا إلى أن الرحم عضو مجوف يقع داخل الحوض، وله طبقات عضلية قوية تساعد في عملية الولادة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"قالَ جَالِينُوسُ: إِنَّ الرَّحِمَ مِثْلُ جَوْفٍ مُجَوَّفٍ، مُتَرَاكِبُ الأَجْزَاءِ، قَوِيُّ العَضَلَةِ، يَنْقَبِضُ وَيَنْبَسِطُ بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الحَمْلِ وَالوِلادَةِ" (٥٢/أ).

٢. أمراض الرحم.

أ) التهابات الرحم.

يشير **ثابت بن قرَّة** إلى أن هذه الالتهابات قد تؤدي إلى العقم، إذا لم تُعالج في وقت مبكر.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا احْتَبَسَ الدَّمُ فِي الرَّحِمِ، وَانْحَبَسَتِ الإفْرَازَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى التِهَابَاتٍ حَادَّةٍ، وَقَدْ يُسَبِّبُ عُقْمًا دَائِمًا" (٥٣/أ).

ب) الأورام.

يذكر **ثابت بن قرَّة** أنَّ العلاج قد يكون إما بالأدوية أو بالجراحة في الحالات المتقدمة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"الأَوْرَامُ التِي تَنْشَأُ فِي جُدْرَانِ الرَّحِمِ قَدْ تَكُونُ مَانِعَةً لِلْحَمْلِ، وَعِلاجُهَا يَكُونُ إِمَّا بِالأَدْوِيَةِ المُذِيبَةِ لِلأَوْرَامِ، أَوْ بِإِجْرَاءِ جِرَاحَةٍ إِذَا احْتَاجَ الأَمْرُ" (٥٣/ب).

٣. علاقة الرحم بالاضطرابات النفسية.

يُشير **ثابت بن قرَّة** إلى أن الرحم ليس مجرد عضو تناسلي، بل يلعب دورًا في الحالة النفسية للمرأة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا اضْطَرَبَتِ الأَخْلاطُ فِي الرَّحِمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى القَلَقِ، وَالتَّوَتُّرِ العَصَبِيِّ، وَحَتَّى نَوْبَاتِ الهِسْتِيرْيَا" (٥٤/ب).

الكتاب الثامن: مختصر كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

١. اختلاف الروايات حول مدة الحمل.

ورد في كتب **أبقراط** اختلاف حول تحديد مدة الحمل، فمنها ما يرى أن لها حدودًا ثابتة، ومنها ما يرى أنها غير محدودة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"ذَكَرَ جَالِينُوس مَا وَقَعَ فِي الكُتُبِ المَنسُوبَةِ إِلَى أَبُقرَاطْ مِن الاِختِلَافِ فِي مُدَّةِ أَزْمَانِ حَملِ الأَجِنَّةِ وَأَنَّ فِي بَعضِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ وَاضِعُ ذَلِكَ اَلكِتَابِ يَرَى أَنَّ لِحَملِ اَلأَجِنَّةِ مُدَدًا مَحدُودَةً، أَن تَكُونَ سَبعَةَ أَشهُرٍ أَو ثَمَانِيَةً أَو تِسعَةً أَو عَشَرَةَ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَهرٍ مِنهَا ثَلَاثُونَ يَومًا" (٥٩/أ).

٢. أدنى مدة يمكن أن يعيش فيها المولود.

وجد **جالينوس** أن أقل مدة حمل يمكن أن يعيش فيها المولود هي ١٨٤ يومًا، وأي ولادة قبل ذلك تعد سقطًا.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَذَكَرَ جَالِينُوس أَنَّ أَقَلَّ شَيءٍ رَأَى مِن أَزمَانِ حَملِ المَولُودِينَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مَن وُلِدَ بَعدَ دُخُولِ الشَّهرِ السَّابِعِ بِمِقدَارِ مَا يَجتَمِعُ بِهِ زَمَانُ الحَملِ كُلِّهِ مِائَةً وَأَربَعَةٍ وَثَمَانِينَ يَومًا" (٥٩/أ).

٣. خطر الشهر الثامن و أثره على المولود.

أ) حال المولود في الشهر الثامن.

لاحظ **جالينوس** أنَّ المواليد في منتصف الشهر الثامن لا يعيشون، مما يعني وجود فترة حرجة لا يمكن للطفل النَّجاة فيها.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَلَكِنْ لَمَّا قُطِعَ فِي وَسَطٍ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ الثَّامِنِ فَصَارَ لَا يَعِيشُ مَنْ يُولَدُ فِيهِ بَلْ هُوَ فِي عِدَادِ السَّقَطِ" (٥٩/ب).

ب) ضرورة حساب الأيام بدقة.

لا بد من حساب مدة الحمل بشكل دقيق لتحديد فرص المولود في الحياة، ويتم ذلك وفقًا لحساب الأيام القمرية بدلًا من التقويم الشمسي.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إِذَا أَرَدتَّ أَن تَعرِفَ أَمرَ مَولُودٍ وُلِدَ فِي الشَّهرِ السَّابِعِ هَل كَانَ مَولِدُهُ فِي الأَيَّامِ مِنهُ الَّتِي قَد يَعِيشُ مَن وُلِدَ فِيهَا أَو فِي الَّتِي لَا يَعِيشُ مَن وُلِدَ فِيهَا فَخُذ عَدَدَ أَيَّامِ شُهُورِ حَملِ ذَلِكَ الجَنِينِ القَمَرِيَّةِ" (٥٩/ب - ٦٠/أ).

الكتاب التاسع: جوامع كتاب جالينوس في أصناف الأمراض.

١. تعريف المرض وعلاقته بالصحة.

أ) تعريف جالينوس للمرض والصحة.

يرى **جالينوس** أن الصحة هي الهيئة الطبيعية للأعضاء، أي الحالة التي تكون فيها وظائف البدن متوازنة. أما المرض فهو حالة خروج الأعضاء عن طبيعتها بحيث يضطرب أداؤها.

يقول ثابت بن قرَّة:

"إنَّ عَرضَ جَالِينُوسْ فِي هَذَا الكِتَابِ أَن يُخبِرَ بِالمَرَضِ مَا هُوَ وَكَم هِيَ الأَمرَاضُ الأُوَلُ البَسِيطَةُ وَكَم هِيَ الأَمرَاضُ المُرَكَّبَةُ مِن هَذِهِ وَلَمَّا قَصَدَ لِذَلِكَ بَيَّنَ أَوَّلًا أَنَّ الصِحَّةَ هِيَ الهَيئَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلأَعْضَاءِ فَوَجَبَ أَن يَكُونَ المَرَضُ هُوَ الهَيئَةَ أَو الحَالَ الخَارِجَةَ عَنَ الطَّبِيعَةِ" (٦٢/ب).

ب) تأثير الاعتدال في صحة الأبدان.

الاعتدال هو الميزان الذي يحدد صحة البدن، فإذا خرجت الأعضاء عن الاعتدال نشأ المرض.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَإِنَّ الصِحَّةَ أَيضًا اِعتِدَالُ مَا مَضَارَّ اَلمَرَضَ خُرُوجًا مَا عَن الاِعتِدَالِ، وَالأَشيَاءِ اَلَّتِي الصِحَّةُ اعتِدَالُهَا، فَالمَرَضُ خُرُوجُ تِلكَ عَنَ اَلاِعتِدَالِ" (٦٢/ب).

٢. أصناف الأمراض البسيطة.

أ) الأمراض الناتجة عن اختلال الأمزجة.

تعتمد صحة الأعضاء على امتزاج العناصر الأربعة (الحرارة، البرودة، الرطوبة، اليبوسة)، وأي زيادة أو نقص في أحدها يؤدي إلى المرض.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَيَجِبُ مِن ذَلِكَ أَن تَكُونَ الأَمرَاضُ الأُوَّلُ لِلأَعضَاءِ المُتَشَابِهَةِ الأَجزَاءِ أَربَعَةً عَلَى حَسَبِ مِزَاجَاتِ الِاسطَقسَاتِ الَّتِي مِنهَا رُكِّبَت وَهِيَ المَرَضُ المُجَاوِزُ لِلاعتِدَالِ فِي البُرُودَةِ وَالمَرَضِ المُجَاوِزُ لَهُ فِي اليَبُوسَةِ، وَالمَرَضُ المُجَاوِزُ لَهُ فِي الرُّطُوبَةِ وَالمَرَضُ المُجَاوِزُ لَهُ فِي الحَرَارَةِ" (٦٢/ب).

ب) الأمراض التي تنشأ عن المؤثرات الخارجية.

هناك أمراض سببها اختلال الحرارة أو البرودة بسبب عوامل خارجية، كالتعرض للشمس أو البرودة الشديدة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"فَالمَرَضُ الحَادُّ مِن كَيفِيَّةٍ مُفرَدَةٍ مِثلِ الحُمَّى الدَّقِّ، وَحُمَّى نَومٍ، وَالتَّلَهُّبِ العَارِضِ فِي الرَّأسِ مِن الشَّمسِ، وَسُخُونَةِ الرِّجلَينِ مِن التَّعَبِ" (٦٢/ب-٦٣/أ).

٣. أسباب الأمراض وعلاقتها ببعضها.

أ) المرض كسبب ونتيجة في آن واحد.

بعض الأمراض تكون ناتجة عن أمراض سابقة، وأحيانًا تكون سببًا لأمراض لاحقة.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَمِنهَا أَنَّهُ قَد يَكُونُ مَرَضٌ عَن مَرَضٍ مِثلُ كَونِ الحُمَّى عَن لُحمَى وَعَن الوَرَمِ الحَارِّ، وَيَكُونُ سَبَبٌ عَن سَبَبٍ مِثلُ كَونِ العُفُونَةِ عَن الِامتِلَاءِ" (٦٣/أ-ب).

ب) تأثير العوامل الخارجية على المرض.

بعض العوامل مثل الامتلاء أو التخمة تؤدي إلى حدوث أمراض أخرى مثل الحمى.

يقول ثابت بن قرَّة:

"وَسَبَبٌ عَن عَرَضٍ مِثلِ الِامتِلَاءِ عَن التّخَمِ" (٦٣/ب).

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

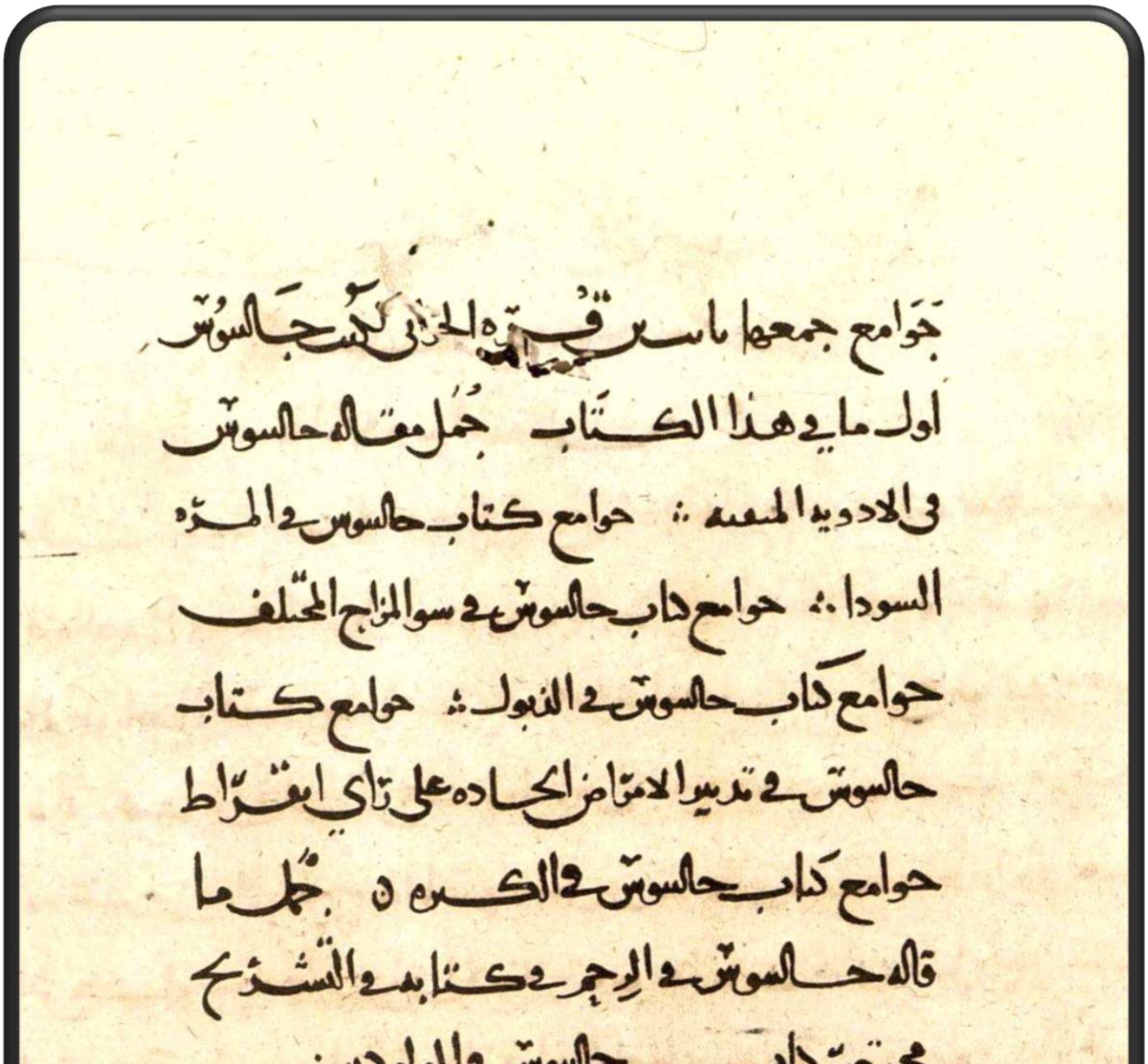
١. التأكيد على الدور الحضاري الاستثنائي الذي قام به النقلة الأوائل وأسرهم العلمية من أهل الثقافات والأديان الأخرى، في نقل المعارف العلمية للحضارة العربية خصوصًا العلوم الطبية، حيث أسهم هؤلاء في نقل أكثر من (٣٥٠) كتابًا طبيًا للعربية، ووضعوا أكثر من (١٦٠) كتابًا طبيًا في القرن الثالث الهجري فقط.

٢. أهمية دراسة إسهامات هذه الأسر العلمية في شتى المجالات المعرفية؛ في الطب والهندسة والفلك والفلسفة وغيرها؛ لتسليط الضوء على دورهم الحضاري وفق المصادر التراثية التي نُشرت في العقود الماضية، والدراسات المتراكمة عن حركة الترجمة العربية في العصر العباسي.

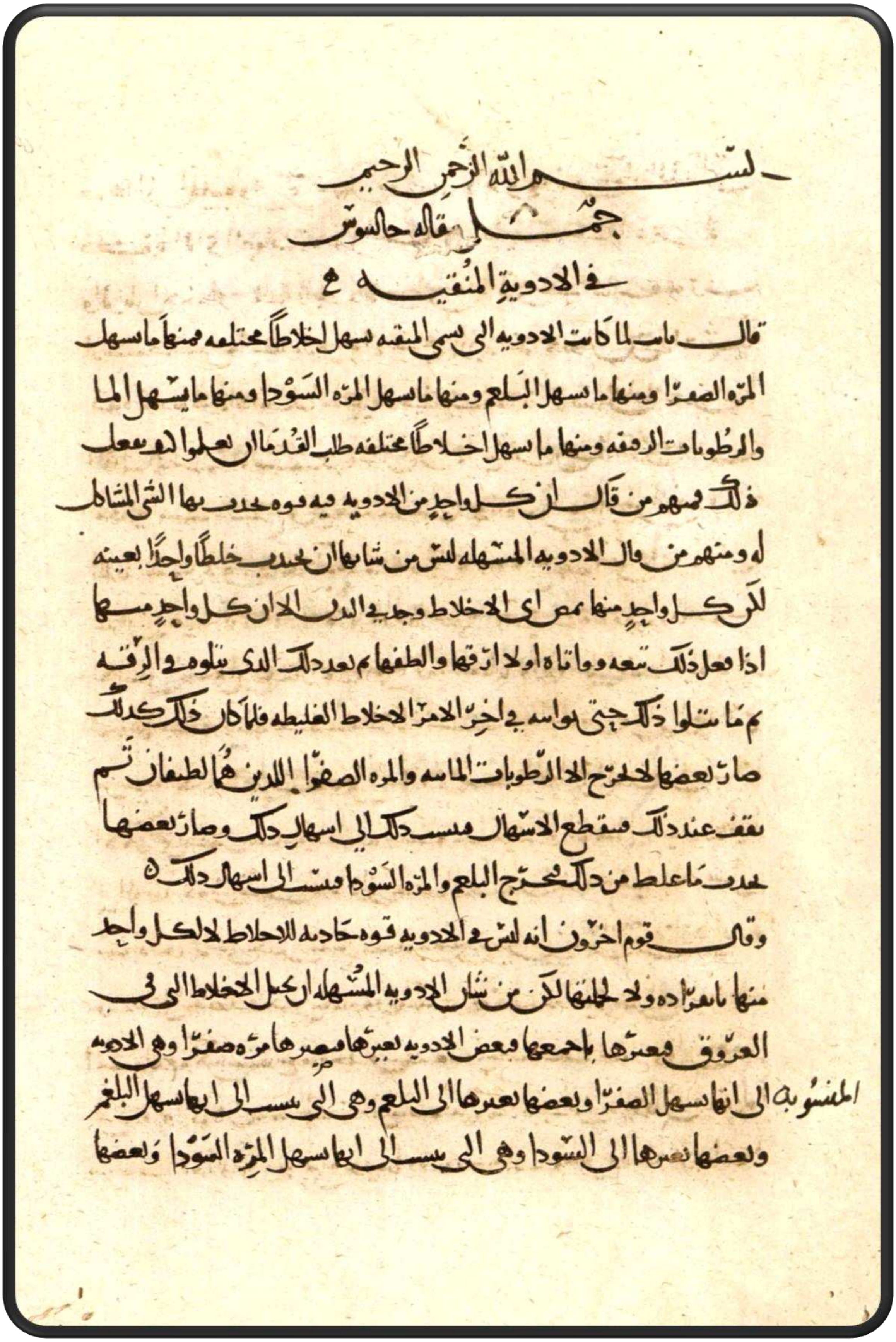
٣. الالتفاف مجددًا لدراسة طرائق التأليف العربي في المجالات العلمية والفلسفية في عصر التدوين، حيث طوَّر المؤلفون تقاليد التأليف اليوناني والإسكندري والفارسي والسرياني، وأبدعوا في صياغة العناوين وتجديد طرائق التصنيف والتلقي للدارسين.

٤. إعداد أثبات بمترجمات ومؤلفات النقلة الأوائل، تتضمن الإشارة إلى المفقود منها والمخطوط والمطبوع؛ للوقوف على العدد التقريبي للمترجمات والمؤلفات العربية.

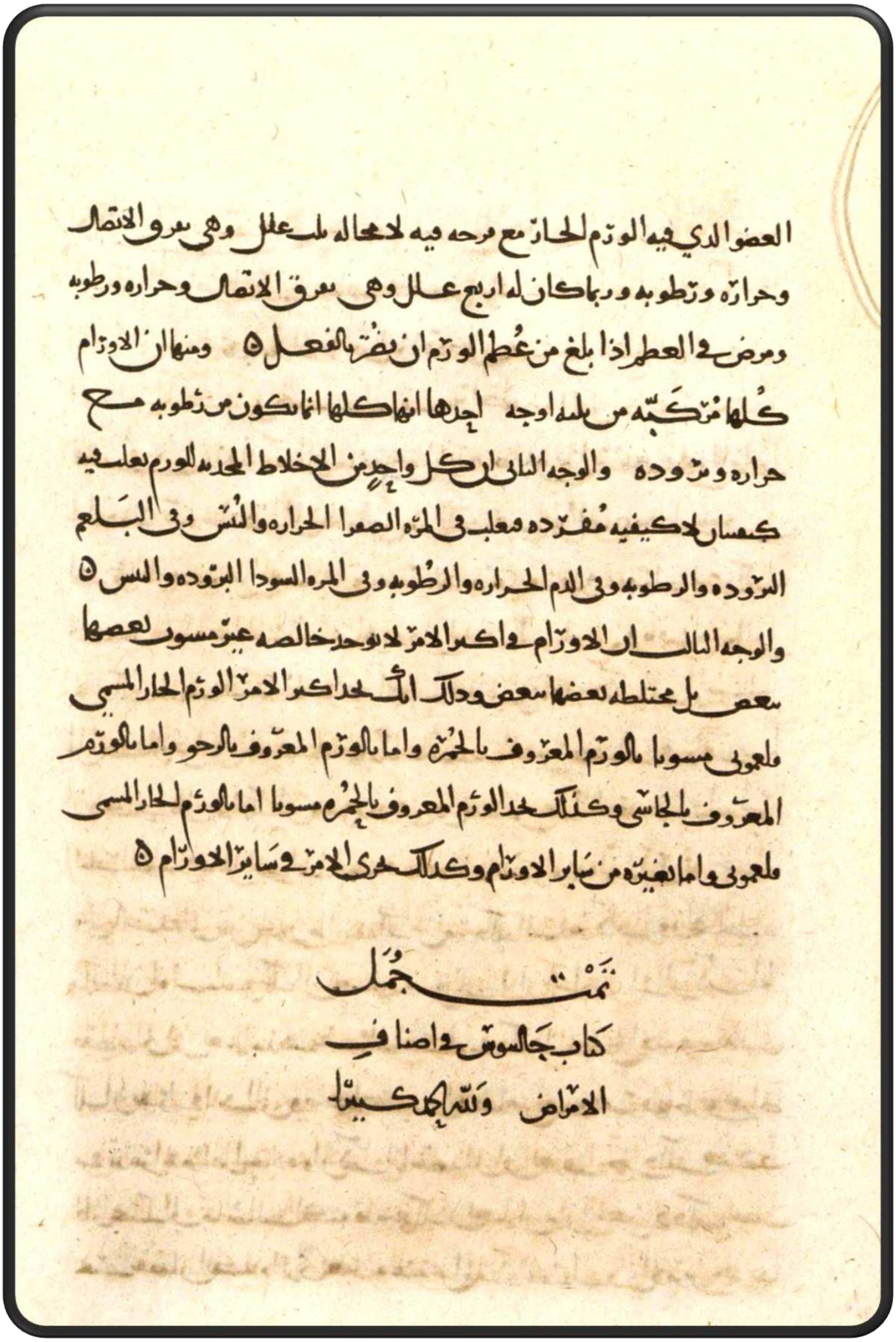
٥. تحقيق مخطوطات الموروث العلمي والفلسفي العربي غير المنشورة أو المنشورة عن نسخ رديئة وقراءات خاطئة، وهي تناهز المئة نص في تلك الفترة، نعني القرنين الثالث والرابع الهجريين.



صفحة عناوين مجموع المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم
جمل مقالة جالينوس
في الأدوية المنقية
قال لما كانت الأدوية التي تسمى المنقية تسهل أخلاطاً مختلفة فمنها ما يسهل
المرة الصفراء ومنها ما يسهل البلغم ومنها ما يسهل المرة السوداء ومنها ما يسهل الماء
والرطوبات الرقيقة ومنها ما يسهل أخلاطاً مختلفة طلب القدماء أن يعلموا لم يفعل
ذلك فمنهم من قال إن كل واحد من الأدوية فيه قوة يجذب بها الشيء المشاكل
له ومنهم من قال الأدوية المسهلة ليس من شأنها أن تجذب خلطاً واحداً بعينه
لكن كل واحد منها يمر بأي الأخلاط وجد في البدن إلا أن كل واحد منها
إذا فعل ذلك سبقه وواتاه أولاً أرقها وألطفها ثم بعد ذلك الذي يتلوه في الرقة
ثم ما يتلوا ذلك حتى يواسه في آخر الأمر الأخلاط الغليظة فلما كان ذلك كذلك
صار بعضها يخرج الرطوبات المائية والمرة الصفراء اللذين هما ألطفان ثم
يقف عند ذلك فينقطع الإسهال فينسب ذلك إلى إسهال ذلك وصار بعضها
يجذب ما غلظ من ذلك فيخرج البلغم والمرة السوداء فينسب إلى إسهال ذلك
وقال قوم آخرون إنه ليس في الأدوية قوة جاذبة للأخلاط لا لكل واحد
منها ما يغيره ولا لجملتها لكن من شأن الأدوية المسهلة أن تحيل الأخلاط التي في
العروق وتغيرها بأجمعها فبعض الأدوية يغيرها فيصيرها مرة صفراء وهي الأدوية
المنسوبة إلى أنها تسهل الصفراء وبعضها يغيرها إلى البلغم وهي التي تنسب إلى أنها تسهل البلغم
وبعضها يصيرها إلى السوداء وهي التي تنسب إلى أنها تسهل المرة السوداء وبعضها

الصفحة الأولى من الكتاب الأول في المجموع


العضو الذي فيه الورم الحار مع قرحة فيه لا محالة ثلث علل وهي تفرق الاتصال
وحرارة ورطوبة وربما كان له اربع علل وهي تفرق الاتصال وحرارة ورطوبة
ومرض في العظم اذا بلغ من عظم الورم ان يضر بالفعل ۝ ومنها ان الاورام
كلها مركبة من ثلثة اوجه احدها انها كلها انما تكون من رطوبة مع
حرارة وبرودة والوجه الثاني ان كل واحد من الاخلاط المحدثة للورم تغلب فيه
كيفيتان لا كيفية مفردة فتغلب في المرة الصفرا الحرارة واليبس وفي البلغم
البرودة والرطوبة وفي الدم الحرارة والرطوبة وفي المرة السودا البرودة واليبس ۝
والوجه الثالث ان الاورام في اكثر الامر لا توجد خالصة غير مشوب بعضها
ببعض بل مختلطة بعضها ببعض وذلك انك تجد اكثر الامر الورم الحار المسمى
فلغموني مشوبا بالورم المعروف بالحمرة واما بالورم المعروف بالرخو واما بالورم
المعروف بالجاسي وكذلك تجد الورم المعروف بالحمرة مشوبا اما بالورم الحار المسمى
فلغموني واما بغيره من ساير الاورام وكذلك يجري الامر في ساير الاورام ۝

تمت بحمد الله
كتاب جالينوس في اصناف
الاورام ولله الحمد كثيرا

الصفحة الأخيرة من آخر المجموع